
د. أحمد خالد توفيق
روايات مصرية للجيب
43
إلى الشمال
سافاري
Looloo
www.dvd4arab.com

مقـــدمـة

اسمى (علاء عبد العظيم) .. طبيب مصرى شــاب يجاهد ــ كما يقول الغلاف ــ كى يبقى حيًا ويبقى طبيبًا ..

وحــدة (سافارى) هى البطــل الحقيقى لهــذه القصص ، و(ســافارى) مصطلح غربى معناه (صيد الوحوش فى أدغال أفريقيا) وهو محرف عن لفظة (سفرية) العربية ..

لاحظت أن أكثر الأصدقاء يضيفون حرف ألف بين الــراء والياء لتتحول الكلمة إلى (سافاراى) .. لا أعرف فى الحقيقــة سبب هذا الخطأ ، لكنه خطأ شــائع شــبيه بتلك الألف الشيطانية التى يكتبها الجميع بعد (واو) ليست (واو جماعة) على غرار (أرجوا الهدوء) . ولو كنت ترغب فى معرفة النطق الغربى للفظة (سافارى) فلتتخيل أنها (صفرى) بفتح الصاد والفاء ..

وحــدة (سافارى) التى نتكلم عنها هنا لا تصطاد الوحوش ولكنها تصطاد المرض فــى القارة السوداء ، وســط اضطرابات سياسية لا تنتهى وأهال متشككين وبيئة لا ترحم ..

الوحدة دولية لكن بطلكم الفقير المعترف بالعجز والتقصير شاب مصرى عادى جدًا ، فقط وجد كثيرًا من عوامل الطرد فى وطنه فانطلق يبحث عن فرصة فى القارة السوداء .. انطلق يبحث عن ذاته ..

هناك وجد التقدير .. وجد المغامرة .. وجد الحب .. الطبيبة الكندية الرقيقة (برنادت جونز) التى صارت زوجته .. ثم هناك الفيروسات القاتلة والقبائل المعادية والمرتزقة الذين لا يمزحون ، والعلماء المخابيل وسارقو الأعضاء ..

هناك ــ كما قلنا ــ من العســير أن تجمع بين شيئين : أن تظل حيًا وتظل طبيبًا .. لكنك تحاول .. فى كل يوم تحاول ..

هذه المحاولات هى ما أجمعه لكم وأقصه لكم فى شكل قصص .. وقصصى هى خليط عجيب من الطب والميتافيزيقا والرعب والعواطف والسياسة ! لا أعرف إن كان هناك مجنون آخر قد جرب أن يصب هذا الخليط فى كئوس ويقدمها لكم ، لكنى لم ألق هذا المجنون بعد إلا فى مرآتى ..

تعالوا نبدأ وسنفهم كل شىء ..





1 ـ تورنتو ..

لقد انتهت إجازتى فى مصر ..

حقًا لم تكن إجازة بالمعنى الحرفى للكلمة ، لكنى على الأقل اطمأننت على أسرتى وقضيت أيامًا من المتعة ، وتعرضت للقتل .. هذه نقطة مهمة لا تكتمل السعادة إلا بها ..

أعتقد أن برنادت أحبت إقامتها القصيرة فى مصر .. هى تحب ذلك الاختلاف الواضح بين البلدين والحضارتين ، فهذا يشعرها بأننى فريد . لو كانت مصر تشبه ألمانيا أو فرنسا لما حمل لها الأمر أية إثارة ..

للمرة الأولى انطلق إلى بلد بارد فيه قوم شقر بيض البشرة ، هو كندا .. بلد زوجتى ..

لم أعتد أن أرى وجوهًا غير سوداء أو أشعر بالبرد .. لقد تغلغلت أفريقيا فى دمى إلى حد لا يوصف ، لدرجة أننى شعرت منذ البداية بتحفز عدائى مذعور ، شبيه بما كان العبيد المخطوفون من أفريقيا يشعرون به وهم مقيدو الأرجل فى قاع السفن العملاقة .

لابد من أكواخ وقبائل . لابد من سحرة وكاسافا .. لابد من (داوا) .. لا يمكن تخيل الحياة من دون هذه الأشياء ..

هذه المرة ـــ برغم كثرة أسفارى ـــ أنا طفل يرى العالم لأول مرة . سوف يجروننى من شعرى إلى ميدان عام حيث يطلقون على الرصاص .. لا شك فى هذا . لن يكونوا ودودين .. سوف يكونون نموذجًا للسماجة وثقل الظل ..

لكن (برنادت) كانت سعيدة جدًا . هذا طبيعى وهى لم تعد لكندا منذ أعوام طوال . هذا ليس طبيعيًا لكن القصة تحمل خلفيات معقدة كما تعلم ، فقد كانت تريد أن تحقق ذاتها بينما كل شىء كان معدًا لها فى وطنها كى تعيش حياة هادئة باسمة ثرية .. كانت تريد أن تغامر وأن ترى الأحراش وأن تعالج الأطفال السود تحت الأشجار ، وكان التصادم مع أسرتها .. أبوها لم يغفر لها هذا قط ، لكننا فى كندا حيث تتم هذه الأمور بطريقة الغربيين الباردة ..

الآن هى عائدة بعد كل هذه الأعوام مع زوجها العربى الذى لم تستشر أحدًا بصدد الزواج منه . لا شك فى أن رد فعل أبويها لن يروق لى ..

أتذكر الآن بلا توقف مشهدًا مماثلاً فى فيلم (فول الصين العظيم) ، حينما تدعو الفتاة الصينية الحسناء خطيبها المصرى إلى الغداء مع أسرتها . الأب لا يطيق الفتى ولا يتحمل وجوده ،

وهكذا ينهال عليه بالشتائم بينما الفتى لا يفهم ، لكنه يردد فى تهذيب أبله : "شكرًا يا عمى .. هذا بيتى فلا تقلق .. »

لحسن الحظ أننى أجيد الفرنسية والإنجليزية فلن يقدر أحد على توجيه الشتائم لى وأنا لا أفهم ، ما لم يتكلموا بالفنلندية أو السنسكريتية طبعًا ..

* * *

مقاطعة (أونتاريو) ..

ثانية أكبر المناطق هنا بعد (كويبك) . وتقع ملاصقة للولايات المتحدة ..

يعرف كل المصريين كندا تقريبًا ، حتى لأشعر أحيانًا بأننى الوحيد الذى لم يرها من قبل .. يعرفون أن عاصمة مقاطعة (أونتاريو) هى (تورنتو) ، وعاصمة كندا نفسها (أوتاوا) تقع فى ذات المنطقة ..

هنا سوف تــرى بحيــرة (أونتاريو) التى منحت المنطقة اسمها ، وشلالات نياجرا .. شلالات نياجرا هنا ؟.. هذا غريب .. كنت أحسبها فى الولايات المتحدة فقط .. وهذا خبر ممتاز .. معناه أننى سأراها دون أن اضطر للذهاب للولايات المتحدة وهو أمر شبه مستحيل . لو أن فى هذه البلاد الجميلة جزءًا من سور

الصين العظيم ورافدًا من نهر الأمازون لصارت الحياة رائعة . طبعًا لن تغير الجغرافيا معالمها إرضاء لمزاجى الخاص .. »

كانت (برنادت) كطفل صغير وهى تشرح لى كل شىء فى الطريق من المطار .. تفاصيل كثيرة جدًا جدًا لدرجة أننى لم أعد أذكر شيئًا على الإطلاق ..

ـ « أنظر هناك .. هناك ! »

ـ « هناك .. نعم .. »

ـ « هذا البرج .. »

ـ « نعم .. البرج .. »

تقول وهى تتواثب :

ـ « برج CN .. كان أعلى برج فى العالم حتى بنت (دبى) برجها الخاص ، وهــو يعتبر رسميًا من عجائب الدنيا السبع الجديدة .. CN معناها (الكندى القومى) .. نحن فى قلب مدينة تورنتو الآن .. »

ونظرت للبرج فبدا لى عاليًا حقًا من الطراز الذى يتابعك فى كل صوب ، لكنى رأيت مثله مرارًا .. لا يستحق الأمر كل هذا الصراخ . وبعد قليل بدا أننا نخرج من تورنتو إلى الضواحى المحيطة بها ،

وبدأت أرى اتساعات هائلة من اللون الأخضر والجمال .. الجمال الذى سرقه البريطانيون والفرنسيون من الهنود ..

عرفت أننا فى القطاع الفرانكفونى من (أونتاريو) حيث يقيم المتكلمون بالفرنسية . إن (كويبك) هى أكبر تجمع للمتكلمين بالفرنسية فى كنـدا تليهـا (أونتاريو) مباشرة . على كل حال يجيد أكثر الكنديين لغتين هما الإنجليزية والفرنسية . ويتكلم خمس الكنديين الفرنسية فى بيوتهم .

مرحبًا بك يا صاحبى فى مملكة السيد (كرستيان جونز) .. والد زوجتى ..

رجل الأعمال الكندى الناجح .. (التايكون) .. لاحظ أن كلمة (تايكون Tycoon) لا تدل على الثراء الفاحش فقط ، بل تدل كذلك على سعة النفوذ الذى تخالطه لمسة من الشر .. كلمة دقيقة جدًا ..

أسهم عديدة فى صناعة السيارات وقطاع الطاقة ، وله عدة شركات لتجارة الأوراق المالية ، فتورنتو هى المركز المصرفى الأهم فى كندا كلها ، بل هى عاصمة كندا الاقتصادية . الرجل كذلك له استثمارات عديدة فى قطاع المعلومات فى منطقة (ووترلو) فى جنوب أونتاريو ، وله عـدة شركات سياحة .. إن السياحة ـ خاصة ما يقوم به الأمريكان ـ تشكل دخلاً هائلاً هنا ..

باختصار يمارس هذا الرجل كل ما لا أفهمه ولا أطيقه ، ويجنى من ذلك الكثير .. لابد أنه يزداد ثراء بينما أنا أكتب هذه السطور ..

بالنسبة له أنا ذلك الوغد الذى خدع ابنته ليظفر بكل هذه المملكة ، بينما كل ما أريد أن أخبره به هو أن يخرس .. لا أريد شيئًا منه .. كان عنده شىء عزيز ثمين جدًا وقد نلته بالفعل ، ولا أريد شيئًا آخر ..

* * *

بالطبع كنت أعرفه ورأيته فى صور عديدة ، كما إنى كلمته فى الهاتف مرارًا ..

ليس سيئ المنظر .. أعتقد أنه وسيم .. هذا الأنف الحبيب .. ينحدر إلى ما فوق الشفة الرقيقة .. هذا الجزء أعرفه ويجعل قلبى يخفق بشدة ، فقد منحه لـ (برنادت) ضمن هدية الجينات التى أخذتها منه ..

لاحظت كذلك أنه يكور أنفه عندما يضحك بأسلوب (التشنيكة) ، فقد ورثتها منه إذن .. فيما عدا هذا بدا لى أن (برنادت) أخذت كل الباقى من أمها ..

كان أشيب الشعر فى الستين من عمره تقريبًا ، شديد الأناقة .. وله أسلوب عملى صارم غربى جدًا .

أما عن الأم فهى شىء صغير أنيق فاتن .. قصيرة الشعر مما يعطيها طابعًا صبيانيًا لطيفًا . منذ اللحظة الأولى عرفت أنها ستكون صديقتى وأننى سأهيم بها .. (برنادت) أخرى عجوز .. ويبدو أنها منحت ابنتها كل ما هو جميل فيها ما عدا (التشنيكة) ..

كانت الأم سكرتيرة تعمل معه فى أول شركة افتتحها فى حياته ، وقد نما الحب بين قلبيهما وتزوجها .. يخيل لى كأنهما فنانان اجتمعا معًا منذ أعوام ليصنعا أروع وأجمل شىء فى العالم ..

لكن على ألا أعتمد على انطباعات مسبقة .. أنت تعرف من خلال مذكراتى هذه أننى أكره الرجل كالجحيم منذ أخبرت (برنادت) أننى أحبها .. معنى هذا أننى متعصب فعلاً ، ولو قال لى (صباح الخير) لاتهمته بالوقاحة وقلة الأدب ، ولو قال لى (مساء الخير) لوجهت لكمة لفكه ..

يجب أن أصبر وأراقب ..

* * *

2 ـ أسـرة لطيفـة ..

يبدو لى المشهد كأنه فيلم سينمائى ..

حمام سباحة فى حجم البحر الأبيض المتوسط ، تحيط به التماثيل والكشافات وتسبح فـوق مائة بالونة ملونة .. وهناك مقاعد مريحة تحيط به .. هناك ما يشبه غابة استوائية من أشجار منوعة ، وهناك حصان أبيض جميل يمشى به السائس وسط هذه الخضرة .. هناك نافورة لها طابع إغريقى يخرج الماء منها فى أشكال هندسية تتغير كل دقيقة . هناك مجموعة سيارات باهظة الثمن ، تسمح لك بتحقيق الحلم الطفولى أن تركب سيارة تناسب لون ثيابك فى كل يوم .. هناك خيمة شرقية ساحرة لا ينقصها إلا طاووس وبعض الجوارى ..

هناك جيش من الخدم والوصيفات ..

هذا الرجل ثرى جدًا .. جدًا ..

يجب أن أقول إنه خصص لنا جناحًا فى بيته ، ذلك المكان الذى يعبر الحدود الفاصلة بين الفيلا والقصر .. لا أعرف ما هو حقًا .. لكنها المرة الأولى التى أنام فيها فى غرفة نوم باتساع استاد القاهرة ، وبها أنتريه ومكتب ومكتبة وشاشة تهبط من السقف و .. و ....

كنت بالطبع أفضل أن نقيم منفصلين فى فندق أو شىء شبيه لكن هذا كان مستحيلاً من الناحية العملية . لقد عادت (برنادت) فهى لهما لفترة لا بأس بها ..

يجلس هناك بالقميص المشجر جوار حوض السباحة وأمامه كوب عصير عملاق ، يطلقون عليه (بينا كولادا) وقد غمست فيه قطع من الأناناس .. يبدو مغريًا لكن (برنادت) أنذرتنى أنه يحوى خمر الروم ..

لا .. لا يمسك بسيجار وإلا لبدا لى الأمر سينمائيًا لدرجة لا تطـــاق .. ولاقتضى الأمر حارسًا خاصًا متأنقًا يقف خلفه والسماعات فى أذنيه .

رأت (برنادت) نظراتى فقالت همسًا فى خبث :

ــ « هل أدار هذا الثراء رأسك ؟ »

حككت رأسى وأردت أن أقول شيئًا على غرار (أنت عندى أهم من مال الدنيا) ، لكنى وجدته مبتذلاً سخيفًا .. طبعًا من الجميل أن يملك المرء كل هذا ، لكن يملك (برنادت) كذلك ..

هززت رأسى بما قد يعنى نعم أو لا .

قالت وهى تعبث فى خصلات شعرها :

ـ « المنظر يختلف كثيرًا عن أكواخ (الكيكويو) .. هه ؟ »

ـ « نعم .. وإنك للغز حقيقى .. يبدو أننى لن أفهمك أبدًا .. أنا أعرف منذ البداية أنك تخليت عن الثراء من أجل (سافارى) ، لكن الأمر يبدو عسير التصديق وأنا أرى وألمس كل شىء .. أنت تركت هذا كله ؟ »

ـ « أبى لم يكف عن اعتبارى مخبولة .. »

ـ « يبدو أن عضوية نادى من يرونك مخبولة تتسع لاثنين"

نظر لى السيد (كرستيان) .. الأب العظيم وقال :

ـ « هل تجيد ركوب الخيل ؟ »

هززت رأسى .. فعلت ذلك فى منطقة الهرم عدة مرات ، ولكنها خبرة غير كافية طبعًا ..

قالت (برنادت) :

ـ « أنا أتمنى أن افعل ذلك الآن .. لكن ستكون حماقة حقيقية .. يبدو أن رحمى لن يتخلى عن عادة فقد الأطفال بسهولة »

عاد يسألنى فى فضول :

ـ « هل تكره اليهود ؟ »



سؤال سخيف ولا مجال له .. الرجل مصمم على أن يفعل بالضبط كل ما توقعت أنه سيفعله .. قلت له فى برود الكلمات التى قلتها ألف مرة من قبل : أكره اليهود إذا تحولوا إلى صهاينة ، وفيما عدا ذلك هم كالبونيين أو الهندوس .. هذا دينهم وهم أحرار ..

لقد قلت هذه الكلمات حتى صرت كلما قلتها أشعر بأننى أدافع عن نفسى ، والملاحظ أننى لم أر غربيًا يقتنع بها قط كأنهم يتوقعون أن أقول هذا ..

هكذا راح الرجل ينتهز أية فرصة لا يجرى فيها مكالمات هاتفية أو يتفق على أشياء غامضة ، كى يوجه لى أسئلة لا تنتهى .. ثم إنه لا يكف عن الأكل وهذا يضايقنى ...

أنقذتنى (برنادت) عندما طلبت أن تأخذنى فى جولة أرى فيها معالم المدينة ..

قالت لى وهى تتجه لإحدى السيارات الرياضية الأنيقة ، فتدير محركها :

ـ « سوف ترى كل شىء فى كندا .. أعددت لك برنامجًا ممتازًا .. لا تقلق .. لن تمضى الإجازة تجيب عن أسئلة أبى .. »

استرخيت فى المقعد وعبثت بلحيتى مفكرًا :

ـ « يتصرف كأننى أطلب يدك .. لقد تجاوزنا هذه المرحلة منذ زمن .. تصورى أننا زوجان وطفلى فى أحشائك الآن .. عليه أن يقبلنى بدلاً من أن يمضى الوقت فى استجوابى »

قالت ضاحكة :

ـ « هكذا أبى .. يمقت أن يوجد شىء فى العالم لا يتحرك داخل خيوط عنكبوته .. لابد أن يعرف عنك كل شىء ويشعرك بعدم الراحة . لهذا فررت من قبضته إلى الكاميرون .. وهو لن يغفر هذا لى أبدًا .. عملت وتزوجت من دون سيطرته ، ولربما يحاول أن يجعلنى أنجب حسب تعليماته »

كانت تقود السيارة ببراعة مذهلة ، لكنى لم ار أن الأمر صعب لهذا الحد .. فقد بدت لى هذه السيارة بالذات كأنها ذات ذكاء صناعى .. تعرف ما يفكر فيه قائدها وتتصرف على هذا الأساس . وشغلت مشغل الأقراص لينبعث صوت (سلفى فارتان) الساحر تغنى (نيكولا) ... نيكولا .. أول دمعة سالت من عينى كانت من أجلك أنت ....

قالت لى فى خبث :

ـ « ألا تنوى أن تتعلم القيادة ؟ »

ـ « سيكون فألاً سيئا .. معنى هذا أننا لن نكون معًا .. »

ابتسمت ثم عادت تسألنى :

ــ « ما رأيك فى أمى ؟ »

ــ « رائعة . همت بها حبًا .. التفاح لا يأتى إلا من شجرة تفاح .. »

نظرت لى والتمعت فى عينيها نظرة صارمة جادة وقالت :

ــ « ليست سعيدة .. أعنى أمى .. »

ــ « هه ؟.. بهذه السرعة ؟ لم أضايقها قط »

ــ « لا أتحدث عنك .. أتحدث عن سحابة عابرة من الأسى والهم فى عينيها .. أنا أشعر بها أكثر من سواى .. أمى ليست سعيدة .. »

كدت أقول لها إنه من الطبيعى ألا يشعر من يعيش مع أبيها بأية سعادة ، لكنى أحجمت .. فسألتها :

ــ « ما السبب ؟ »

ــ « لا أدرى .. لا تريد أن تعكر صفو زيارتى ، لكنى سأعرف كيف أنتزع السر منها .. سوف ترى .. »

قلت لنفسى إن هذه الأمور العائلية ليست من شأنى .. هؤلاء القوم مترفون فعلاً وحياتهم خالية من المشاكل ، فلا شك أن

مشاكل أمها من النوع الوجودى أو الفلسفى .. هل للوعى وجود بعد الموت أم لا ..؟

نحن الآن نعود إلى برج CN الذى تراه من كل مكان فى تورنتو تقريبًا .. لقد بنى هذا البرج منذ ثلاثين عامًا للاتصالات فقط ، عندما ارتفعت ناطحات السحاب فى أرجاء المدينة وأتلفت الاتصال . هكذا تم تشييده ليكون أعلى شىء فى المدينة كلها .

تجربة مرعبة هى أن تمشى فوق أرضية من زجاج على ارتفاع 113 طابقًا عن الأرض ، كأنك بلقيس فى قصر سيدنا سليمان .. زجاج لا تصدق أنه لن ينهار تحت قدميك .. والحقيقة أنه كما قالت لى (برنادت) يتحمل وزن سبعة أفراس نهر !

هناك مطعم جلسنا فيه .. مطعم من المطاعم التى تدور 360 درجة طيلة الوقت لترى المدينة كلها .. مدينة حديثة جدًا وتشعرك بالدوار من غير أن تدور حول نفسك . فجوة واسعة فعلاً بيننا وبينهم ، وبرغم هذا نحن فى كندا حيث يشعر الناس بالتضاؤل أمام الأمريكان ، فكيف تكون (لاس فيجاس) إذن ؟

نظرت لى برنادت طويلاً ، وابتسمت .. لحظة من تلك اللحظات التى تشعر فيها بأنه لا داعى للكلمات ، فنحن روح واحدة ، وقالت بعد قليل :

ـ « هل أنت سعيد ؟ »

ـ « جـدًا .. »

وما لم أقله لها هو إن الأماكن لا تحدث فارقًا لدى .. كنت سعيدًا بالقدر ذاته وهى معى فى قبو الثعابين أو فى أقفاص أكلة لحوم البشر .. المهم أن تكون هى هناك ..

غريب جدًا أن يكون إنسان مصدرًا مشعًا للسعادة . الإنسان يأخذ السعادة من مصادر خارجية أو هذا ما يخيل لى ، لهذا من الغريب بالنسبة لى أن يمنح الإنسان السعادة ، وأن يتحول إلى شمس بعد ما كان يطلب الدفء من الشمس ....

كنت غارقًا فى هذه الخواطر وأنا أرمق عينيها الصافيتين .. عينيها الشفافتين الصادقتين .. عندما قالت لى :

ـ « أعتقد أن أبى هو المشكلة .. »

ـ « عم تتكلمين ؟ »

ـ « أبى .. هذا هو السبب الوحيد الذى يفسر حزن أمى الدفين الغامض ! »

* * *

3 ـ أنا ومسز (جونز) ..

الفارس المقنع يلوح بالرمح فيهلل الجمهور ، ثم يندفع على صهوة حصانه المدرع والشرر ينبعث من حوافره ، ليضرب الزكيبة المعلقة فى الهواء وتتأرجح بلا توقف ...

الرمح يخترق الزكيبة فى براعة لا تصدق ، من ثم يصفق الجميع .. بينما يواصل الحصان الخبب بالقصور الذاتى والأرض ترتج ....

أزمنة العصور الوسطى .. من أهم معالم تورنتو السياحية ، حيث تجلس فى ديكور قلعة من القرون الوسطى وتلتهم الطعام على مأدبة تذكرك بمآدب فرسان المائدة المستديرة .. راقصات بالدف وفرسان يتبارزون مستعرضين براعتهم ..

كنت أفكر فى كلمات (برنادت) ..

الحقيقة إننى صرت أعرف الكثير عن الشخصية الغربية بحيث أعرف ما يضايق الأم . طبعًا هى مصابة بالسرطان .. هؤلاء الغربيون لا يموتون إلا بالسرطان فيما يبدو لأنهم يأكلون طعامًا غربيًا مسرطنًا ، ولأنهم يعيشون أكثر من اللازم . فلا يموتون بأمراض القلب أو الفشل الكلوى أو حوادث القطارات فى سن

صغيرة مثلنا .. عندما يبلغ المرء سناً متقدمة تعلن خلاياه عن جنونها ، بينما نحن العرب نموت قبل أن تجن خلايانا .

أعتقد أن الأم مصابة بالسرطان وتخفى ذلك عن ابنتها كى لا تفسد إجازتها . ربما هو الأب ؟.. كلا .. هذا الوغد لا يموت بسهولة ولا يصاب بالسرطان ..

على كل حال لم أرد التدخل فى شىء .. إن (برنادت) تفكر بصوت عال .. فلأدعها تفكر كما تشاء ما دامت لم تطالبنى بشىء ..

الفارس الأسود يلوح بالرمح ويهجم من جديد ....

* * *

الليل ..

الليل والظلام المريح الجميل ما عدا ذلك الضوء الخافت المضاء جوار (الأنتريه) ..

لكنى عاجز عن النوم .. لم أعتد أن أشعر براحة فى غرفة باتساع استاد القاهرة كهذه . فكرتى عن غرفة النوم هى الاحتواء كرحم الأم .. ضيقة نوعًا .. ضيقة بشكل مقبول .. لا أذكر أننى نمت فى حياتى مثلما كنت أنام فى بيتنا ، حيث لم

يكن لى فراش خاص .. بل أعدوا لى مرتبة وضعوها فوق صندوق جوار فراش أخى ، وهكذا كنت محشورًا فى ركن ضيق جوار الجدار يطلقون عليه اسم (الكهف) ، وكان هذا الشعور بالاحتواء يجعلنى أغيب عن العالم بمجرد أن أضع رأسى على الوسادة ..

(برنادت) نائمة فى سلام وشعرها ينتثر على الوسادة .. فى الضوء الخافت يسهل أن تحسبها حورية بحر نعست على صخرة بانتظار المد ...

نهضت مترنحًا ووضعت الروب على منامتى واتجهت إلى الشرفة ..

أزحت الستار الذى يغطى النافذة الجدارية العملاقة التى تطل على الحديقة .

من هنا يمكنك أن ترى حمـــام الســباحة يســبح فى أضواء خافتة ، وقد ترقرقت عليه ، وترى الأشجار الساكنة والأرجوحة .

أزحت الباب فى حذر وخطوت إلى الخارج وأخذت نفسًا عميقًا ..

برد .. برد .. أنا الذى اعتدت حر أفريقيا حتى لم يعد يؤثر فى . مشيت فى الحديقــة بضع خطوات متجهًا نحو حمام السباحة ..

لو لم يغلبنى النعاس وأنا أرمق الماء الرقراق فلن أنام أبدًا .. للماء والنار تأثير منوم لا شك فيه ..

دنوت أكثر .. ثم تصلبت ..

هناك شخص جلس على المقعد الطويل المواجه للحملم .. شخص جلس وقد فرد ذراعيه عن آخرهما ورفع وجهه للسماء ...

بمزيد من التدقيق ميزت الشعر القصير والجسد الضئيل .. إنها (حماتى) بلا شك ..

الثانية صباحًا ؟.. ماذا تفعل هنا بالضبط ؟

هذه الرائحة .. أنا أعرفها ...

اقتربت أكثر فرأيت أنها مغمضة العينين ، فلم تشعر بوجودى قط .. فقط هناك تلك الزجاجة من الكحول أمامها . زجاجة فارغة تقريبًا ..

اقتربت أكثر وهمست فى حذر :

ــ « مدام (جونز) .. »

أنا ومسز (جونز) .. اسم أغنية قديمة جميلة جدًا تتحدث عن الحب الذى نما كالنبات الشيطانى بين الفتى وامرأة متقدمة

فى العمر ، وكلاهما يعرف أنه حب خطأ لكنه أقوى منهما .. لحسن الحظ أن هذا لن يحدث معى وإلا لكان على أن أشرب السم هنا والآن ..

ســم ؟

أعرف هذه الرائحة . أتذكرها الآن ..

إنه منوم معروف اسمه (كلورال هيدرات) له رائحة لعينة كأنها قادمة من مختبر أحد السيميائيين فى القرون الوسطى . هذه المرأة قد شربت زجاجة كحول كاملة مع جرعة محترمة من الكلورال ..

طريقة ممتازة كى تنام فلا تصحو ثانية ، سواء فعلت هذا عمدًا أم عن طريق الخطأ . هناك ممثلة أمريكية شهيرة اسمها (آن نيكول سميث) ماتت بهذه الطريقة وقيل إنها غلطة ....

هرعت نحوها وتأكدت من أنها حية ترزق لكن هذا لن يدوم لأن تنفسها ثقيل فعلاً ..

ــ « مدام (جونز) !!! »

وهززت رأسها بعنف ففتحت عينين حمراوين ونظرت لى ..

قبل أن تفهم ما يحدث كنت قد دسست إصبعى فى فمها لأضغط على مؤخرة لسانها . قالت فى جزع وهى تعض على أناملى حتى أدمتها :

ــ « أع ع ع ! .. ماذا يحدث ؟.. أع ع ع ! .. ماذا تريد ؟ »

قلت وأنا أخفض رأسها لتفرغ معدتها على العشب :

ــ « أريد هذا !! »

ــ « أوع ع ع ع ع ! »

لا يبدو أن شيئًا بقى فى معدتهـــا .. ويبـــدو لى كذلك أن الامتصاص لم يبدأ بعد . هرعت إلى داخل الدار حيث المطبخ الواسع الخاوى من الخدم الآن .. رحت أفتش هنا وهناك إلى أن وجدت الشاى . تصرفت بكثير من الخرق وأسقطت مائة شىء فى بحثى . مطابخ هؤلاء القوم معقدة فعلاً . هناك لقمة خبز كذلك وضعتها على الموقد لأحرقها ، ثم أعددت كوبًا من الشاى الأسود الذى لا تتحمله معدة أقوى فلاح منوفى من عشاق الشاى الثقيل ، وهشمت اللقمة لأحيلها مسحوقًا سابحًا فى الشاى ..

عدت للسيدة الناعسة فأرغمتها إرغامًا على شرب هذا الخليط الكريه ..

ـ « صه .. لو رفضت الشرب لطلبت الإسعاف حالاً !... فكرى فى الضوضاء والأسئلة ! »

طبعًا تلعب اللقمة المحروقة دور الفحم المنشط الذى يمتص الكيماويات ، والشاى الثقيل يحوى حمض التانيك الذى يرسب السموم .. ترياق عام مرتجل تعلمته من أحد كتب الإسعافات الأولية ... وبالطبع لن تتحمله معدتها لذا ستفرغه من جديد على العشب ، لكننى متأكد من أن العقار اللعين لم يبق بالداخل .

يبدو أن بعض الشاى قد مر لدمها على كل حال ، فهى تفيق بما لا يقبل الشك ..

فى النهاية استطاعت أن تتماسك وأن تتكلم بشكل واضح .. مدت يدها لدورق الماء أمامها وملأت كفها بالماء ورشت بعضه على وجهها ..

قلت لها وأنا ألهث بعد كل هذا الركض :

ـ « سوف آمل أن ما حدث كان نتيجـة جهلك بتفاعلات العقاقير ... أما لو لم يكن كذلك فعلى أن أسألك عن السبب ... »

نظرت لى فى عدم فهم فقلت :

ـ « لماذا فعلت ذلك ؟ »



مدت يدها النحيلة ووضعتها على يدى مطمئنة ، ثم قالت بحزم برغم إرهاقها :

ــ « (علاء) .. أنا بخير .. أرجو أن تعود لغرفة نومك وتنام ... »

ثم رفعت عينيها الجميلتين الشفافتين نحوى وهمست :

ــ « (برنادت) لن تعرف بهذا .. »

ــ « عرفت أنك ستطلبين هذا .. »

ــ « إذن هيا قبل أن تفتقدك »

ــ « وأنت ؟.. لن تجربى المزيد من هذا الهراء ؟ »

ــ « اطمئن .. فقط عد قبل أن تصحو وتخرج للحديقة بحثًا عنك »

هكذا نهضت وابتعدت عائدًا لغرفة النوم ..

أعرف أنها لن تفعل شيئًا آخر .. لكن السؤال هو : هل فعلت ذلك متعمدة ؟.. لو فعلته متعمدة فهى كارثة ، ولو فعلته عن جهل فهى كارثة ..

يبدو لى أن (برنادت) صادقة .. هذه المرأة فى حال نفسية تدنو كثيرًا من الحضيض ..

4 ـ مفاجأة سارة لى ..

بالطبع صحوت فى ساعة متأخرة ..

راسى يدق كما كنا نهز نواة المانجو لنشعر باللب بداخلها . وقد جاءت (برنادت) مشرقة كعهدها ، فقد بدأت متاعب أول النهار الملازمة للحمل تزول .. لم تبرز بطنها بعد لكنها بالتأكيد ستبدو محببة المنظر جدًا ، كطفلة ابتلعت زيتونة !

قالت لى وهى تزيح الستائر ليتسرب نور الشمس :

ــ « يبدو لى كأنك كنت تحارب طيلة الليل .. »

قلت فى سخرية :

ــ « تقريبا »

كنت أنقذ إحدى حالات التسمم لكنى بالطبع لن أقول هذا .. سوف تطرينى كثيرًا لو عرفت أننى أنقذت أمها من الموت .. الرجل الذى ينقذ حماته من الغيبوبة إنسان جدير بالإعجاب .

ــ « أعتقد أنك تفضل أن تتناول الإفطار فى قاعة الطعام لا الفراش .. إنه جاهز »

فى توجس سألتها :



ـ « أبوك تناول الإفطار طبعًا .. »

قالت ضاحكة :

ـ « ما زال نائمًا .. إنه ينام كثيرًا هذه الأيام .. »

هكذا سارعت إلى النهوض وهرعت إلى الحمام . لا أريد أن ألقاه على الأقل فى هذه الساعة المبكرة من اليوم .. السيد (كرستيان جونز) من الأشخاص الذين يفضل المرء لقاءهم ربع ساعة فى المساء لا أكثر .. هو لم يفعل لى شيئًا لكنه سمج .. نظراته سمجة .. وجوده سمج .

لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه ..

كنت جالسًا فى الحديقة .. فى الشرفة إذا شئت الدقة ، وأمامى مائدة عامرة بالكورن فليكس والبيض المقلى والمربى واللحوم المريبة واللبن والقهوة والأزهار وعصير البرتقال .. عصير البرتقال !! .. هذا ما أتوق إليه الآن ..

قالت برنادت وهى تنظر ليدى التى تحمل آثار عض السيدة :

ـ « ماذا أصاب أناملك ؟ »

تبًا !.. إن ذكاءها شديد كالعادة .. قلت شيئًا عن الاضطراب النفسى الذى يجعلنى أعض أناملى وواصلت التهام الطعام ..

فى البدء ظهرت الأم .. بدت لى بحالة طيبة ، وحيتنى ..

كانت طبيعية جدًا ولم تلق حتى نظرة من طراز (سرنا المشترك) إياه ، حتى خيل لى إننى كنت أحلم بما حدث أمس ...

بعد قليل ظهر الرجل ..

كان يلبس روبًا قصيرًا على اللحم ، ليظهر صدره المشعر الأشيب المترهل ، مع سلسلة ذهبية عملاقة ..

قلت لنفسى إن هذا الرجل متصاب ومعجب بنفسه فعلاً .. أمقت هذا الطراز وأقارنه دومًا بأبى المنهك ذى الجورب المثقوب والبول أوفر الوحيد .. كلما قرر أن يبتاع واحدًا جديدًا تذكر أن أولاده أحوج منه ..

حيانا الثرى الكندى وهو يحك رأسه .. ثم تثاءب وجلس ..

راح يملأ طبقه بشرائح اللحم والبيض .. ثم راح يلتهم الطعام فى جشع . نظرت للزوجة فرأيتها تراقبه فى شىء من الفضول .. شهيته ممتازة فعلاً ، ومن الواضح أنه لا يعرف أن زوجته كادت تموت أمس .. تنتحر أو تفقد حياتها فى حادث كيميائى ..

سألنى وهو يملأ فمه بالطعام ويكور أنفه بطريقة (التشنيكة) :

ــ « هل زرت متحف الفن الملكى بعد ؟ »

نظرت لبرنادت متسائلاً .. سوف تكون فضيحة لو كنت قد زرته ونسيت ، لكنها قالت على الفور :

ــ « لا .. لم يره بعد »

ــ « إذن فما زال أمامه الكثير ليراه .. »

ثم ملأ طبقه من جديد ، ونظر لساعته معلنًا أنه سيذهب لزيارة إحدى شركاته .. قال لى وهو يتأهب للنهوض :

ــ « ألا تفكر فى أن تقيم فى كندا ؟.. يمكن أن أسهل لك الأمور .. سوف تتعلم الكثير عن البيزنس وسوف تجيده »

بالفعل هذه البلاد جميلة جدًا والإغراء شديد . لكن حياتى قد اتخذت شكلاً لا يمكن تغييره ما لم أتغير أنا كذلك .. وحدة (سافارى) هى حياتى .. المرضى .. المشاكل .. (بارتلييه) و(باركر) .. المختبر .. العنابر .. جو الكاميرون .. السود .. ببساطة أنا لا أرى نفسى فى أى ضوء آخر ..

ثم إننى لست راغبًا فى لعب دور الابن مع هذا الرجل ..

قلت فى تهذيب :

ــ « سوف أفكر .. »

لما انصرف التفتت لى برنادت ضاحكة وقالت :

ـ « أجمل شىء فى العالم هو أننى أعرف جيدًا قرارك .. سوف نبقى فى (ســـافارى) إلى أن نموت بالإيبولا أو الملاريا أو تلتهمنا الأسود .. هذا رائع .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. لا يوجد ما هو أروع .. »

★ ★ ★

بناء على نصيحة الأب ذهبنا إلى متحف الفن الملكى ..

بناء غاية فى الفخامة والحداثة ، يذكرك نوعًا بماسة عملاقة نائمة على جنبهـــا .. إن المهندسين الكنديين فى غاية البراعة فعلاً . هناك 40 معرضًا بالضـــبط .. وهناك أربعـــة أعمدة (طوطم) عملاقة فى المركز تذكرك بقبائل (أوجيبوا) على الحدود المشتركة مع الولايات المتحدة . أما المعروضات فهى خليط من الآثار التاريخية والتاريخ الطبيعى والأعمال الفنية . هناك هياكل ديناصور عملاقة فى متحف التاريخ الطبيعى .. كل شىء يدير الرأس مع شعور ممض بأنك لن ترى كل شىء قبل أن تمضى هنا أسبوعًا .

قالت (برنادت) وقد لاحظت ارتباكى :

ـ « يمكن أن نأتى هنا مرارًا فلا تقلق »

ثم نظرت للساعة .. الثانية عشرة ظهرًا .. فقالت فى خفة :

ـ « موعد الغداء .. سوف أجلب لنا بعض الشطائر .. »

ـ « أنت تعرفين .. »

ـ « نعم .. نعم .. لا تأكل سوى السمك ككلاب البحر .. سوف أحضر لك شطيرة سمك مع مياه غازية .. »

كنا نقـف فى حديقـة واسعة مفتوحة بلا سقف تفصل بين جزئين من البناية ، وقد تناثرت هنا وهناك أكشاك أنيقة للشطائر والقهوة مع بعض التذكارات ، وهكذا ناولتنى حقيبتها ثم هرعت لتبتاع لنا الغداء . لا أريد أن آكل فقد ظفرت بإفطار ممتاز منذ قليل ، ولا أبتلع أبدًا عادة تناول الغداء فى الثانية عشرة ظهرًا هذه ، لكن أريدها أن تأكل ولا تنتظرنى ..

مشيت نحو حوض أزهار رائع الجمال ، وقررت أن التقط له صورة أو صورتين ..

تراجعت للخلف بضع خطوات ، واستدرت لألقى نظرة .. هنا وقعت عيناى على ظهر مألوف بشكل غير مريح ..

نعم .. حمـاى العزيز هنا وظهره لى يقف أمام أحد الأكشاك ويلتهم شطيرة عملاقة من الهامبورجر، المشكلة هى أنه ليس وحده بل هو يطوق بذراعه اليسرى تلك الشقراء .. شقراء مائعة جدًا واضح تمامًا أنها ليست رجل أعمال زميلاً له ..

كان يلتهم الطعام ثم يميل ليهمس فى أذنها ويضحك .. مع (تشنيكة) من وقت لآخر .. وهى تنفجر فى الضحك بدورها ملقية رأسها للخلف ، ولدرجة أن تفقد توازنها للحظات فتخطو للخلف خطوة .. هؤلاء الغربيون متحررون جدًا ويمارسون حياة تختلف عنا فى كل شىء ، والرجل يقبل أن يلثم صاحبه زوجته على خدها باعتبارها قبلة بريئة ، لكن هذا المشهد يفوق تحملهم هم أيضًا ، ويعرفون متى يكون الأمر غير بريء بمقاييسهم .. هذا المشهد غير بريء طبعًا بأية مقاييس أرضية .

يا لك من .... !!!

هذا هو موعد العمل إذن .. ولهذا كنت متعجلاً .. لكنك غبى كذلك .. أنت اقترحت علينا أن نزور هذا المتحف ، فلماذا اخترته هو بالذات ؟

حماى رجل لعوب إذن ، وليس سهلاً ... لكنه لا يخلو من غباء .. هو الذى اقترح علينا زيارة هذا المتحف فلماذا اختاره بالذات كى يلعب دور دون جوان ؟

جاءت برنادت حاملة الشطائر وهى تلهث ، فناولتنى الكيس الخاص بى مع كوب المياه الغازية ، وهى تقول فى مرح :

ـ « هلم يا صغيرى .. فلتجعل ماما فخورًا بك »

كان ظهرها للمشهد .. لذا جذبتها من ذراعها وقلت :

ــ « سئمت المتحف .. تعالى نقصد مكانًا آخر . »

كنت أشعر بلذة خبيثة كالتى نشعرها عندما نعرف أن الآخرين أوغاد وأننا رائعون . أنا الآن أعرف عنه الكثير ، والأجمل أننى لم أفش سره أو التقط له صورة .. أنا أكبر من هذه الصغائر ..

ابتعدنا عن المشهد كثيرًا ، فقالت لى (برنادت) وهى تتأبط ذراعى وتقضم من شطيرتها :

ــ « أنا أعرف علاقتك المتوترة مع أبى ، لكن صدقنى .. هو بئر عميقة ويمكنك أن تتعلم منه الكثير »

قلت فى سخرية خفية :

ــ « إن أباك ليس تافهًا .. إنه أستاذ !.. بالفعل يمكننا جميعًا أن نتعلم منه . هناك تعبير مصرى يقول عن أمثاله : قادر على أن يأخذنا للنهر ويرجع بنا ظمآنين .. هل تفهمين هذا التعبير ؟ »

ــ « لا .. »

ــ « إذن أنت سعيدة الحظ »

* * *

5 ـ جنيـيـف ..

كان انطبــاعى لدى زيارة شركة الأوراق المالية الخاصة بحماى متوقعًا ..

كل شىء ضخم .. كل شىء أنيق .. كل شىء نظيف ومتسع .. الصورة العصرية لمملكة النمل حيث الكل يعمل بلا توقف . وقد شعرت بأننى موشك على فقد الوعى .. هل يتصور حقًا أننى أريد أن اشاركه هذا كله أو أرثه عنه ؟.. مستحيل .. هذا الوحش الاقتصادى الضخم آخر حصان أتمنى أن أتعلم كيفية ركوبه ..

البناية تطل على خط أفق تورنتو ولها واجهات زجاجية عملاقة ، تصلح جدًا لاقتحام طائرة من طائرات 11 سبتمبر .

كانت هنــاك غرفة سكرتارية بها مجموعة غير عادية من الحسناوات ..

هل نحن فى ستوديو تصوير سينمائى أو وكالة لتصوير الموديلات ؟.. هذا تفكير غير عملى بالمرة .. لا يمكن أن تحصل على عمل عندما تعمل لديك مارلين مونرو وبريجيت باردو وجينا

لولو بريجيدا .. إنهن هنا لأنهن جميلات وليس لأنهن يتمتعن بالكفاءة .. هذا واضح ..

من جديد علامة استفهام على حماى العزيز .. هذا رجل كانت أمى ستصفه بأنه (شايب وعايب) ..

جلست فى الاستراحة الخارجية ، ورحت أراقبـه من وراء الزجاج وهو يجرى عشرات الاتصالات ، ثم يدخل عليه شاب متأنق يحمـل أوراقًا فيدرسهـا ويطلق بعـض الشتائم التى لا أسمعها .. ثم يجرى المزيد من المكالمات .. آلات الفاكس لا تكف عن الأزيز وبصق الأوراق .. الشاشات تتألق ..

هنا دنت منى تلك السكرتيرة النحيلة ذات الشعر القصير الأملس والعوينات غير ذات الإطار ..

قالت لى بلهجة رقيقة :

ـ « هل تشرب شيئًا ؟ »

اعتذرت فى لطف مماثل ، فعادت تسألنى :

ـ « أنت زوج ابنة المسيو (كرستيان) .. أليس كذلك ؟ »

هززت رأسى أن بلى .. فعادت تسألنى :

ـ « مصرى .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. »

ابتلعت ريقها ثم أصلحت من وضع عويناتها الرقيقة وقالت :

ـ « يقولون إنك مؤهل لترث هذا كله »

كنت أقول لها إن هذا ليس من شأنها ، لكن لا مزاج لى اليوم كى أكون سمجًا .. بعض أسئلة لن تضر أحدًا وأنا لا مطمع لى فى هذا المكان بتاتًا لذا لا تهمنى أية انطباعات أتركها ..

قلت لها :

ـ « لا أظن .. ولا أريد .. »

بدا عليها الارتياح .. ثم مدت يدها تصافحنى بأطراف أناملها وقالت :

ـ « (جنفييف) ... تبدو لى موحيًا بالثقة وهذا يغرينى بأن آخذ رأيك فى مشكلة صغيرة .. »

ـ « تفضلى .. »

ـ « البطالة فى كل مكان والعمل صار نادرًا وليس بوسع الفتاة أن تنال حقوقها كاملة .. العمل هنا مجز على الأقل .. أنت

تفهم هــذا .. أليس كذلك ؟.. ما أردت قوله هــو أن المسيو (كرستيان) يتجاوز أحيانًا .. أعنى أنك تعرف ما أعنيه .. أحيانًا يعتبر المدير سكرتيراته نوعًا من الحريم . يمكننى دومًا أن أقدم شكوى ضده لكنى سأفقد عملى ببساطة .. من الصعب أن تحتفظ الفتاة فى مكان كهذا بعملها واحترامها لذاتها .. هذه مشكلة . لهذا أشعر أحيانًا بأننى بهلوان فى السيرك يمشى على الحبل .. أية حركة خاطئة سوف تنهى أمره .. أنت تفهم ما أريد قوله .. »

نظرت لها غير مصدق ما تقول .. عدت أسألها :

ــ « لماذا تخبريننى بذلك أنا بالذات ؟ »

تحسست إطار عويناتها بيد راجفة كعادتها فى الكلام كما يبدو ، وقالت :

ــ « أنت زوج ابنته .. ربما تملك أجوبة أو مقترحات أو حلولاً .. »

ضحكت فى عصبية وقلت لها وأنا أضع ساقًا على ساق :

ــ « هل تعتقدين أننى سأطلب من حماى ألا يكون وقحًا ؟ »

قالت فى خبث :

ـ « هنــاك ألف طريقــة لقول الشىء ذاته دون أن تسبب مشكلة .. »

ـ « وهل كان الأمر كذلك دومًا ؟ »

ـ « مؤخرًا بدا لى كأنه يمر بأزمة منتصف العمر .. يبدو أنه يخشى أنه لن تكون هناك فرص أخرى »

ضحكت فى سرى .. فى الستين ويمر بأزمة منتصف العمر ..!.. حسبتها أزمة نهاية العمر . يبدو لى أن متوسط عمر المواطن الكندى 120 عامًا إذن . صحة هؤلاء القوم ممتازة فعلاً ، فلو كان الرجل مصريًا فى هذه السن لرأيته جالسًا فى المقهى يلعب الطاولة ، أو رأيته جالسًا فى المسجد جوار عامود يقرأ القرآن إلى أن يصاب بنوبة قلبية ويموت ..

قلت لها :

ـ « سوف أحاول حل هذه المشكلة .. لا أعرف كيف فأنا لم أصل لقرار بعد ، لكن أعدك أن أرى .. نعم . لا تخشى شيئًا فلن أذكر أسماء .. لا تتوقعى أننى سأدخل مكتبه لأقول له إن (جنفييف) تتهمك بالتحرش .. »

عادت تقول بلهجة شبه آمرة :

ـ « لا تفتح الموضوع الآن أو اليوم وإلا خمن على الفور من قال لك هذا .. إنه يراقبنا الآن من وراء الزجاج .. »

ـ « اطمئنى .. أنا لست غبيًا .. »

قالت فى حرارة :

ـ « عرفت على الفور من عينيك أنك صادق وأنك لست خائنًا أو غبيًا .. لهذا تكلمت .. »

هذه هى مشكلتى طيلة حياتى . أنا أبدو صادقًا جدًا .. يقولون إن لى عينين لا تكذبان أبدًا ولا أعرف معنى هذا ، لكنى بالفعل لا أكذب إلا نادرًا جدًا جدًا ..

مثل الآن على سبيل المثال ..

لقد انفتح الباب وخرج حماى والهاتف على أذنه وسألنى وهو ينظر لها فى شك :

ـ « ماذا هناك يا (جنفييف) ؟ »

قلت على الفور :

ـ « إنها مهتمة بمصر جدًا .. أسئلة لا تنتهى .. »

قال وهو يجذبني من ذراعي لندخل مكتبه :

ـ « لاحظ ان الغربيين عندما يتكلمون عن مصر فهم يتكلمون عن الفراعنة لا أحفادهم .. هنا حالة عشق مزمنة لكل ما هو مصرى لكن هذا العشق لا يشملك أنت . »

ـ « أعرف هذا .. »

رقيق للغاية ومجامل .. لكنه كذلك عجوز لعوب متصاب ويتحرش بالموظفات . إن الرجل لا يخيب توقعاتى أبدًا ..

يمكننى الآن أن أعرف سر تعاسة أم (برنادت) وتلك المغامرة الليلية التى كادت تموت فيها . زوجها اللطيف جعل حياتها جحيمًا بلا شك وهى لم تعد تتحمل هذا كله ..

جلس خلف المكتب وضغط على الزر ليطلب إحدى السكرتيرات الشبيهات بالحوريات كالعادة . دخلت إحداهن فنظر لى سائلاً :

ـ « سوف أرسل طالبًا بيتزا .. أنا جائع .. هل ترغب فى أن تأكل ؟ »

تحسست معدتى وبدت لى فكرة لا بأس بها أبدًا .. الرجل يتذوق الجمال والطعام الجيد .. أنا أمنحه هذه الشهادة عن طيب خاطر .

خرجت الفتاة فتمطى وجلس على أريكة مريحة هناك ، وشمر عن كميه وقال :

ـ « تعلم كل التفاصيل هنا .. لو أردت أن ترث هذه المملكة فعليك أن تفهم كل شيء .. ثق أنها مهمة عسيرة ، وإننى بحاجة إلى نسختين أو ثلاث نسخ منى لأقوم بما يجب أن أقوم به .. إن الأمر يشبه ذلك الثور الأسود الذى ركبه (جلجاميش) .. يجب أن تكون بطلاً أسطوريًا لتتحكم فيه. »

قلت فى إصرار :

ـ « سيدى .. للمرة الألف أكرر : لم أرد من عالمك سوى شيء واحد هو (برنادت) ، وهى الآن زوجتى .. هكذا أقول بوضوح إننى لا أريد شيئًا منك على الإطلاق .. يمكنك أن تمنح كل ثروتك لابنتك أو تتبرع بها للجمعيات الخيرية .. أنا لا أريد مليمًا .. لا توجد بطولة ولا فروسية فى هذا ، لكننا نختلف فيما يروق لنا ويسعدنا .. هناك أشخاص لا يبالون بمباراة كرة قدم نهائية بين فريق البرازيل والأرجنتين ، وهناك من لم يروا فيلم (هارى بوتر) قط ، وهناك من لا يبالون بالملايين ولا يعرفون الفارق بينها وبين المليارات . إن فكرتى عن المال هى أن يكون عندى قدر كاف منه يسمح بمسكن صحى وطعام جيد وملبس

معقول ، مع قدر من المدخرات لمواجهة المرض والطوارىء .. فقط .. كل ما يزيد على ذلك هو خارج نطاق تطلعاتى . "

كور أنفه بطريقة (التشنيكة) وقال فى سخرية :

ـ « أعراض الشباب المفلس .. العنب فوق الشجرة العالية له مذاق حامض .. كلهم يقول هذا ثم يصاب بالسعار إذا وجد طريقة لجمع المال »

بصراحة بدأت أتضايق .. ماذا يريد بالضبط ؟.. كان يخشى أن احاول الاستيلاء على ثروته ، وأنا أؤكد له إننى غير مبال ، فإذا به يقتعنى أننى أحمق ..

لا أحب من يحاولون إقناعى إننى أحمق . دعونى أعرف هذا بنفسى ..

قال لى وهو يتثاءب كأفراس النهر :

ـ « أنا أرغب فى بعض النوم .. سنأكل البيتزا ثم أنام قليلاً وأتركك تستكشف الشركة بنفسك . فى المساء سنخرج معا .. أريد أن أفهمك أكثر »



* * *

6 ـ الكثير من المرح ..

لم تخرج (برنادت) معنا .. قال لها أبوها إنها ستكون نزهة ذات طباع رجولى ، وإنه يريد أن ينفرد بى ..

قلت لنفسى إن الرجل سيفسد إجازتى إذا ظل محتفظًا بهذه المشاعر الودية . هل يريد أن يشعر بأن له ابنًا ؟.. وكيف أتخلص منه وكيف أعود للنزهة مع برنادت ؟

لم أستطع التملص وها نحـن ذان جالســان فى ناد اسمه (666) ، وهو اسم شيطانى جـدًا كما ترى . الإضاءة بالداخل لعينة تذكرك بالشياطين فعلاً ، مع مجموعة من الزبائن يمكن ان تراهم فى الكوابيس . هذا مكان مجنون فعلاً صاخب فعلاً لا يناسب هذا الرجل ...

كان يشرب مشروبًا لعينًا اسمه (الروسى) ، يبدو أنه من أسرة الفودكا . ويدخن السيجار ويثرثر بلا انقطاع . يحكى لى عن رحلة كفاحه وعن الوحوش التى انتصر عليها ليصل إلى القمة ..

هنا ظهــرت فتاتان من الطراز إياه ، ومن الواضح أنهما تعرفانه لأن الكلام بدأ دون تعارف ..

واحدة سألته عن ذلك الشاب الأسمر الوسيم . نعم .. أنا بالتأكيد فلا يوجد شاب آخر يقف معنا . قال لها ضاحكًا :

ـ « ماجى .. هذا هو زوج ابنتى ! .. إننى لحمو عظيم متفتح .. »

وطلب لهما بعض الشراب ..

كنت أشعر بأننى مريض . لا أطيق أن أرى الخمر أو أشم رائحتها ، فهى كما قلت تذكرنى بأدوية السعال وأشعر كلما رأيت من يشربها بأننى مريض . ثم إن هذا الجو مسمم فعلاً . الحقيقة المرعبة هى أن حماى سوف يفسد أخلاقى .. لست ملاكًا طاهر الذيل ولا أزعم أى شىء ، لكنى لا أريد أن أكون هنا .. هذا من حقى ..

لكن العجوز الوغد قال وهو يضع ذراعه حول كتف أجمل الفتاتين :

ـ « جنيفر تريدنى فى أمر مهم .. يمكنك قضاء بعض الوقت مع ماجى إلى أن أعود .. »

ثم غمز لها بعينه وقال :

ـ « اعتنى به .. إنه فتى طيب وساذج جدًا .. »



هنا رأيت ذلك الشاب ضخم الجثة يقترب من خلفهما . كانت له ذراعان عضليتان عاريتان ملينتان بالوشم ، ولحية دقيقة طويلة تذكرك بلحية التيس وذيل حصان لا بأس به . عرفت ما سيحدث على الفور عندما وضع يده الثقيلة على كتف (جنيفر) وقال بصوت غليظ :

ــ « لن تذهبى لأى مكان .. »

استدار له حماى وقال فى تحد :

ــ « هل هناك أسباب قوية لهذا ؟ »

قال الفتى فى غلظة جديرة بمنظره :

ــ « ابتعد أنت يا جدى .. لا أريد قتلى هذه الليلة .. »

لا يوجد ما يستدعى الحماسة أو الانفعال .. من الخير ترك هذا الفتى وشأنه . هكذا يفعل العقلاء ، لكن من قال إن حماى عاقل ؟

لقد احمر وجهه كالطماطم واحتقنت عروقه وصاح :

ــ « جدك ؟.. ستبكى كالأطفال بعد دقيقة واحدة أيها الوقح ! »

وكور قبضته وسددها فى وجه الفتى ، بالطبع ليمد الفتى يده ويمسك بالقبضة ويضغط عليها وهو يضحك فى قسوة . ثم إنه دفع العجوز بقوة فطار ليضرب الكاونتر الذى كنا نستند إليه ..

علاء يا صديقى .. لم يعد من مفر .. سوف تلعب مرغمًا دور بلطجى الحانات ، والكارثة أنها حرب لا ناقة لك فيها ولا جمل . وثبت فوق ظهر الفتى وتمسكت بعنقه وأنا أحيط خصره بساقى .. ثم أنشبت أسنانى فى عنقه كأننى قط مسعور غاضب . بلغ قمة الهياج لكن التخلص منى كـان مستحيلاً .. أنا جلجاميش الذى ركب الثور الأسود .. راح يضرب ظهره بالكاونتر يمينًا ويسارًا بينما أنا أواصل العض ، لدرجة أننى لو طرت من على ظهره لانتزعت قطعة مـن اللحـم بأسـنانى . هل تعرف طريقة أخرى لقتال هـذا الثـور ؟.. أية محاولة تضعك فى مجال قبضته هى نهايتك ..

فى النهاية تكاثر الناس ونجحوا فى تخليصنا . كان غاضبًا يطلق السباب وحاول أن يصل لى عدة مرات ، لكن عشرة من الزبائن وقفوا بيننا وأبعدوه وقدم له أحدهم كأسًا ليهدأ . إن (تورنتو) تتمتع بمعدل جرائم منخفض جدًا لهذا لا يبدو أن هذه المشاهد تقع كثيرًا ...

يبدو أن عويناتى سقطت فى لحظة ما وبمعجزة ما لم تتهشم تحت الأقدام . ناولها لى رجل باسم من الطراز الأمهق إياه .. شعر أبيض وبشْرة حمراء وحدقتان بلا لون .. هززت رأسى شاكرًا ووضعتها على أنفى فعاد الإرسال التلفزيونى واضحًا جدًا .

جلست لاهثًا هنا وجدت يدًا على معصمى .. رفعت رأسى فوجدت حماى اللطيف يبتسم مشجعًا وقـد رسـم (التشنيكة) إياها :

ــ « إن طريقتك فى القتـال ممتازة .. صحيح أنها تذكرنى بالقطط لكنها فعالة .. »

لم أتكلم .. إذا كنت قد اخترت مصاحبة أحمق فعلى أن أدفع الثمن .. عجوز متهور وشاب عاقل .. ألا تجد شيئًا غريبًا هنا ؟

قال لى وهو يصب كأسًا لنفسه :

ــ « لو إننى طلبت أن يلحق بنـا السـائق أو أى واحـد من الموظفين لصـنعوا من هـذا الفتى هامبورجر ، لكنـك أجدت التصرف .. والآن .. »

صحت فى ذعر :

ــ « الآن ؟.. أتوسل لك أن نرحل حالاً !! »

قال فى ثقة باسمة :

ــ « قلت لك إننى لن أتأخر .. هيا يا جنيفر

وسرعان ما كان يتأبط ذراع الفتاة ويرحل .. يمشى فى خط مستقيم ثابت كأنه يجرى اختبار السكر أمام شرطي . أنا بطة ميتة .. لابد أن أبقى هنا إلى أن يعود لأننى لن استطيع العودة للدار وحدى وهو من يملك الاتصال بسائق السيارة ليأتى لنا ..

أنا الآن مع (ماجى) .. شقراء أخرى من ذلك الطراز الذى لا ينتجون سواه هنا . نفس الملامح والقامة والصوت والتعبيرات . لكن يبدو أنها تروق للمزاج الغربى جدًا ...

لم أتكلم لأننى كنت منحرف المزاج ، ولم أشعر بأننى مطالب بتسليتها لكنها شعرت بذلك .. فقالت لى :

ــ « أنت شجاع .. لا أحد يواجه (مايك) بلا تفكير بهذه الطريقة .. »

قلت لها وأنا أفرغ فى كوبى بعض المياه الغازية :

ــ « لم أفعل شيئًا .. تمسكت به كالخفاش مصاص الدماء لا أكثر .. لم يبن أحد نصبًا تذكاريًا لخفاش على قدر علمى .. »

هنا رأيته قادمًا .. (مايك) نفسه بلا زيادة ولا نقصان .. الثور الأسود عائد لتحدى جلجاميش .. كان يشق الطريق بين الناس نحوى ، وأدركت أن هذه المرة نهايتي فلن أتمكن من الوثب على كتفيه ثانية . كان انتصارى جميلاً لكنه لم يطل .. المهم ألا يبدو على الذعر وأنا أتلقى علقتى الساخنة ..

دنا منى وذيل الحصان يتأرجح على كتفـــه ، فلما صرت فى متناول قبضته توقف .. فجــأة مد يــده يصافحنى بشىء من العنف :

ــ « آسف .. يبدو أننى شربت كثيرًا .. لا ذنب لك فيما حدث .. »

صافحته غير مصدق كل هذا التحضر فى بلطجى ثمل . قال لى وهو يستند إلى الكاونتر :

ــ « إنه ذلك العجوز القذر يخرجنى عن طورى .. هل هو قريبك ؟ »

ــ « صديق قديم هو .. »

ــ « إنه يحسب أن بوسعه شراء كل فتاة هنا بماله .. يأتى فى كل ليلة ولا يترك فتاة دون أن يحاول اجتذابها .. فى الواقع

أفضل أن أتركه وشأنه ، فلم يبق له الكثير فى هذا العالم . لكنى لم أطق أن يتحرش بجنيفر . إنها فتاتى وأنت تعرف أن ... »

قالت (ماجى) فى سخرية :

ــ « على كل حال هو فعل ما أراد .. لقد أخذها فعلاً .. »

عض الفتى على شفته السفلى فى غيظ واستدار لى وقال :

ــ « هو فاز بالفتاة ونحن تشاجرنا .. أرجو ألا تكون هناك ضغائن يا زميل .. »

قلت فى صدق :

ــ « لقد نسيت الأمر تمامًا .. صدقنى .. المهم ألا تضربه ثانية لأننى لم أتحمل المشهد .. »

ــ « قلت لك إننى كنت عصبيًا .. »

واستدار مبتعدًا ليغيب وسط الزحام والصخب والموسيقا الشنيعة . أنا مريض .. رائحة العرق والخمر والموسيقا الصاخبة والضوء الذى يتبدل كل ثانية .. إنها الطريقة المثلى كى تتقلب معدتك أو تصاب بالصرع . لا أكره الموسيقا الصاخبة وأحب الكثير منها ، لكن هذا نوع خاص من الروك عنيف جدًا شيطانى جدًا .. يوشك على أن يؤدى لتخثر السايتوبلازم فى

خلاياى ليتحول إلى نوع من الزبادى .. لا يمكن أن يظل توازنك الداخلى كما هو بعد ليلتين فى هذا المكان .

أريد أن أذهب للحمام وأفرغ معدتى .. مملكتى مقابل فص من الليمون أمتصه فى جشع .

هنا تذكرت ما قال حماى فاستدرت للفتاة فى غيظ وصحت :

ـ « هو قال إنه عائد حالاً .. »

قالت فى خبث وقد سرتها سذاجتى :

ـ « معه حق بصددك .. أنت طيب شديد السذاجة فعلاً .. سيعود طبعًا .. ربما بعد ساعة ! »

غلى الدم فى عروقى .. الرجل يستغلنى بوقاحة وفظاظة . لقد خرج معى ليضفى على جولته طابعًا محترمًا أمام زوجته لا أكثر ، وليس لأن مشاعر الأبوة استبدت به ، وها هو ذا يعاملنى ككائن ذى قرنين فيتركنى هنا وحدى أتشاجر من أجله ، بينما يعبث هو .. بعبارة أخرى هو كان بحاجة لى الليلة كى ألعب دور (الفاسوخة) إذا سمحت لى بهذا التعبير العامى .. هناك ألفاظ أخرى تصف ما أنا فيه لكنى لا أجرؤ على ذكرها ..

كنت أتوقع أن يكون حماى سيئًا لكن ليس إلى هذا الحد ..

يجب أن أعامله بحزم وقسوة ..

7 ـ عذر أقبح من ذنب ..

ـ « هل قضيتما وقتًا طيبًا ؟ »

كنت غارقًا تحت الأغطية أشعر بأننى موشك على الموت .. أريد أن يتركونى هنا شهرين ، أو يحضروا لى محاميًا يكتب وصيتى . قلت لبرنادت كاذبًا طبعًا إن الأمسية كنت رائعة .. أبوها قد يصير ظريفًا أحيانًا ..

ـ « فيما عدا هذا نلم كالجثة الهامدة فى السيارة أثناء العودة .. »

لعل هذا هو الجزء الوحيد الصادق فى كلامى .

قالت لى فى مرح :

ـ « سوف تستعد سريعًا للخروج ، لأننى رتبت لك لقاء مع زملاء دراستى .. مجموعة أطباء ظريفة جدًا .. »

قلت لها متوسلاً :

ـ « ألا يمكن تركى فى الفراش هذا اليوم ؟ »

ـ « الإجابة هى نعم ببساطة .. لا يمكن الاعتذار لكل هؤلاء .. »

* * *



ستة أطباء فى عمرنا .. مجموعة ظريفة من الناس فعلاً ، وهم يحبون (برنادت) فعلاً . ثلاث نساء وثلاثة رجال .. كنا جالسين فى مقهى جميل جوار نافذة تطل على حوض أزهار رائع .. المكان كله قريب جدًا من برج CN ...

ذكريات الشباب والدراسة .. إذن هذا هو فارسك الشرقى الوسيم ؟.. يبدو قويًا .. لا شك أنه حار الدماء .. احترسى وإلا قطع رأسك لأننا نمازحك ..

تقبلت هذه الدعابات فى سعة صدر .. دعهم يعتقدوا ذلك ، فهذا على الأقل سيجعلهم لا يتبسطون معها بالطريقة الغربية التى أمقتها .. تصافح الرجل وتقبـل زوجتـه على خدها !.. يا سلام !

قال طبيب ملتح أحمر الشعر اسمه (جيسون) :

ـ « كنا كلنا نحلم بالثراء .. لكن برنادت الثرية أصلاً أدارت ظهرها لهذا كله وراحت تتحدث عن (سافارى) .. لا أعرف ما هى (سافارى) هذه ، فالسافارى التى أعرفها هى رحلات الصيادين فى الأدغال .. ليل أفريقى وأسود تثب من الأحراش وفيلة غاضبة .. »

قالت برنادت :

ــ « عرفنا هذا كله ، لكنى كذلك رأيت أمراضًا ستموتون جميعًا دون أن تروها .. »

قال طبيب آخر أمهق له شعر أبيض وعينان شفافتان واسعتان جدًا ويضع عوينات بلا إطار ، وهو ينظر لى :

ــ « على كل حال قد رأيناك وأنت تقاتل .. كنت رائعًا ! »

هنا تصلبت .. أعتقد أننى بدأت أفهم ..

نظر الجميع لى فى عدم فهم ، فقال الأحمق ضاحكًا :

ــ « أمس فى (666) .. تلك المشاجرة مع البلطجى الذى كان يريد الاحتفاظ بفتاته .. أنا كنت هناك مع صديقتى .. لابد أنك نسيتنى .. »

بالطبع ما كنت لألاحظه وسط كل هذا الصخب ، وبالتأكيد لم يكن يرتدى بذلة وربطة عنق كما أراه الآن ، بل كان بالتأكيد يلبس مثل (الباتك) ..

قلت الحجة المعروفة :

ــ « بالتأكيد لم أكن أنا .. »



ــ « لا يمكن لأحد أن يخطئ هذه الملامح الشرقية .. دعنى أؤكد لك .. أنا التقطــت عويناتك التى ســقطت على الأرض وأعدتها لك ، ولقد وقفت طويلاً مع تلك الشقراء ذات الثوب الأسود ، ثم جاء البلطجى من جديد فتوترت أنت لكنه صافحك ! »

نظرت لى برنادت طويلاً ، ومن جديد دارت المحادثة لكنى أدركت أنها غير مستريحة على الإطلاق .. معها كل الحق .. زوجها اللطيف يتشاجر فى الملاهى الليلية من أجل فتاة .. خبر فريد من نوعه وهى آخر من يعلم ..

هكذا انتهى اللقاء ، وظفرت بوعد من الطبيب ذى اللحية الحمراء أن يزورنى .. إنه جراح أعصاب تحت التمرين هنا ، ومن الواضح أن طريقه شاق فعلاً لأن سنه ليست صغيرة .. يبدو أنهم يسمحون لك بأن تكون جراح مخ وأنت فى سن الثمانين ..

فى طريق العودة ظلت برنادت صامتة ، وعرفت أن هناك عاصفة فى الأفق .. لون الجو ينذر بكارثة .. أتحدث عن مزاجها طبعًا .. هناك بروق قادمة ..

بعد قليل قالت لى وهى تتابع الطريق أثناء القيادة :

ــ « هل تنوى قول شىء ؟ »

قلت في كياسة :

ــ « لا ذنب لي فيما حدث .. والدك يتصرف بحماقة أحيانًا وكاد يورطنا في كارثة .. »

ــ « وهل تتوقع مني أن أصدق هذا ؟ »

ــ « يجب أن تسألي أولاً عن سبب ذهابي لهذا النادي الليلي .. أنا الذي لا أعرف شارعين من شوارع (تورنتو) .. »

ــ « هناك كذبة في الموضوع .. كنت أعرف واحدًا اسمه (علاء) يحكي لي كل شيء .. الآن هناك ناد ليلي ويلطجي ومشاجرة كبرى وفتاة تلبس الأسود .. كل هذا لم تذكر حرفًا عنه .. »

ــ « لأنها أحداث تافهة .. يمكنك سؤال أبيك .. »

قالت في عصبية :

ــ « لن أسأله عن شيء .. كان بوسعك أن تتصرف في أية لحظة لو كان الأمر كذلك .. على فكرة (لويس) ــ الطبيب الأمهق ــ يعرف أبي جيدًا ولو رآه هناك لقال هذا .. »

قلت في غل :

ـ « لأن أباك تركنى وحدى وسط هذا الجحيم وذهب ليمرح .. لعبت أنا دور التيس .. »

قالت فى برود :

ـ « التيس و(الساتير) لا يختلفان كثيرًا .. »

الساتير Satyr لو لم تكن تعرف هو مخلوق أسطورى من الأساطير الإغريقيـــة يبـــدو كتيس يمشى على قدمين ، وهو شهوانى جدًا مولع بالنساء بشدة ...

كقاعدة : لا توجد فتاة فى الكون تصدق أن أباها أو أخاها وغد .. الوغد الوحيد الممكن هو زوجها . قد يكون أبوها طاغية أو متصلب الرأى أو ضيق الأفق لكنه ليس وغدًا أبدًا .. السبب طبعًا هو أنها لا ترى سوى جانب واحد من أبيها أو أخيها . عندما تخبرها أن أباها وغد تغضب أو تضحك فى سخرية ، وتهتف :

ـ « أنا عاشرته طيلة حياتى .. فلو كان يحمل طباعًا سيئة لعرفت .. أما أنت فجديد تمامًا .. »

وهى بهذا تتناسى أنها لا ترى سوى جانب واحد من شخصيته ، وهى بالفعل لا تعرف عنه شيئًا على الإطلاق . دعك

من الغرور التقليدى .. ما دام هو أبى فهو ممتاز ونبيل .. لا يمكن لمن أنجب ملاكًا مثلى أن يكون أقل من هذا ..

قلت لها فى صبر ونحن نتوقف فى حديقة الفيلا / القصر الجميلة :

ـ « لا يوجد عندى ما أضيفه .. صدقى أو لا تصدقى .. هذا شأنك ، لكنى أكرر أن ما قلته صحيح تمامًا .. »

ـ « كما تشاء .. »

وترجلنا ، وأنا أشتم أباها فى سرى ..

أنا مظلوم وهذا يثير جنونى .. من الجميل أن تكون أنت الظالم ، فهذا يجعلك شريرًا لكنه على الأقل ينقذك من انفجار المخ .. والأدهى أنها تعرفنى جدًّا وتعرف ما يروق لى وما يثير اشمئزازى .. ما كنت لأجد أية متعة فى هذا الجو المشئوم المريض ..

هذه هى آخر مرة أثق فيها بذلك الرجل ..



* * *

8 ـ ليلة هادئة جداً ..

هذا الصراخ لا شك فيه .. ليس كابوسًا ..

(برنادت) تركل الغطاء وتضع الروب على كتفيها ثم تركض بقدمين حافيتين نحو مصدر الصراخ ، بينمـا أبحث عن الروب فلا أجد .. أهرع بالمنامة .. أتعثر فى قطع الأثاث .. غرفة صالحة فعلاً لكسب اللياقة ، إذ يكفى أن تدخل الفراش مرتين يوميًا لتضمن أنك مشيت ستة كيلومترات ..

أهرع عبر الجناح لأدخل الجناح المجاور الخاص بالأبوين ..

كان هناك اثنان من العاملين ومديرة البيت ، وهناك جو علم من الفوضى ..

مصدر الصراخ كان أم (برنادت) الرقيقة الصغيرة التى تطلق صراخًا جديرًا بسيارة إسعاف .. هل توفى الرجل أخيرًا ؟.. مسكين .. لن أحقد عليه بعد الآن .. كنت أكرهه لكنى سامحته .

لكن الوغد لم يكن ميتًا .

على البساط السميك الفاخر كان يرقد منكفئًا على وجهه . ركعت جواره وتحسست نبضه فوجدته حيًا .. حيًا لكن نبضه واهن جدًا وغير منتظم ..

كان فى شبه غيبوبة .. أطراف باردة .. لا يقدر على تحريكها .

هل هو فى صدمة ؟.. ما السبب ؟.. عندما نجد عجوزًا فى صدمة لا نفكر كثيرًا بل نقرر أنها نوبة قلبية إلى أن يثبت العكس ..

صحت فى برنادت المذعورة :

ـ « اطلبى الإسعاف فورًا .. »

تذكر أن رقم الطوارئ الشهير 911 استعمل أول مرة فى التاريخ فى كندا فى الخمسينات .. هكذا هرعت (برنادت) تتصل ، بينما استدرت أسأل الأم الباكية :

ـ « ماذا حدث بالضبط ؟ »

قالت بين دموعها :

ـ « دخل الحمام ليقيء كعادته .. ثم خرج فإذا به يترنح للحظات ثم يسقط أرضًا ... إنه ...... »

كل هذا جميل .. القصة مفهـــــ ... ماذا قالت ؟.. هل قالت (يقيء كعادته) ؟.. هل هى مجنونة ؟

سألتها فى غيظ :

ـ « يقيء كعادته ؟.. نعم .. مفهوم .. كلتا نحب أن نقيء قليلاً قبل النوم مثلما كان شباب الوجوديين يفعلون فى الستينات .. الحياة من غير قيء صعبة فعلاً .. »

قالت فى براءة كأنها لا تجد شيئًا غريبًا فى هذا كله :

ـ « إنه يأكل كثيرًا جدًّا ويحتفظ برشاقته .. كيف؟ .. لأنه يتبع رجيم القيء .. يأكل ما يريد ثم يدخل الحمام ويضع إصبعه فى حلقه ويفرغ ما أكله !! »

ـ « **أنتم مجانين !!** »

الآن فهمت ..

طريقة الرجيم اللعينة هذه معروفة ، ونتيجتها دائمًا هى الموت نتيجة نقص البوتاسيوم . مطربة فريق الكاربنترز الرقيقة (كارين) ذات صوت الملائكة كانت تتبع هذا الرجيم ، والنتيجة أن الفن فقدها مبكرًا جدًّا ..

الرجل يعانى درجة متقدمة من نقص البوتاسيوم وهذا يفسر كل شىء ..

لما كنا فى انتظار سيارة الإسعاف ، فإننى أنتهز الفرصة لأخبر القارئ بالفارق بين هذا الرجيم اللعين وداء (البوليميا) . فى داء البوليميا Bulimia يأكل المريض بشراهة مرضية ، ثم يفرغ معدته عن غير إرادة منه .. يفرغها لأنه يحمل خوفًا مرضيًا من السمنة ، وهكذا تتحول كل لقمة يأكلها إلى صخرة يجب الخلاص منها .. الأميرة (ديانا) كانت تعانى هذا المرض بشدة ..

كنت أود أن أكمل لكنك تعرف الإسعاف الكندى .. سريع جدًا .. يصل قبل أن يحدث الحادث ..

تعال نصحب حماى للمستشفى ، ولنر إن كان سيظل حيًا بعد هذا كله . أنا لست قلقًا عليه .. الأوغاد الشهوانيون فاحشو الثــراء لا يموتون بســهولة .. أو على الأقــل يموتون بعد ما يدفنوننا نحن ..

* * *



كان تشخيصى لا بأس به ..

نقص بوتاسيوم مرعب أدى لوهن العضلات واضطراب ضربات القلب .. إن قلبه واهن كذلك بحكم السن ، وهذا جعل الوضع مضاعفاً .. ويبدو أن القيء كان زائداً اليوم ...

لكن كان من الواضح أنه سينجو .. هؤلاء الأطباء بارعون فعلاً .. كل شيء يتم بكفاءة مذهلة وبسرعة البرق ، دعك من نظافة المستشفى ورقيه ، ودعك من الحقيقة المرعبة أن هذا مجانى .. إن كندا تملك أروع نظام تأمين صحى على الإطلاق ، حتى أن الأمريكان يأتون عبر الحدود لتلقى العلاج قبل أن يعودوا لبلدهم الذى لا يرحم المرضى الفقراء ..

نامت (برنادت) على مقعد جوار الفراش ، بينما جلست أنا بالخارج فى الاستراحة أحاول مقاومة النعاس ..

بلاد جميلة فعلاً ، لكن لابد من الاعتراف بأن نومى سيئ جداً منذ جئت هنا ، وأن أقاربى مجانين بلا شك .. هذه الأسرة غير طبيعية ، وذعرى بالغ من أن تكون (برنادت) تحمل بعض هذه الجينات .. هناك أمراض لا تعلن عن نفسها إلا فى سن متقدمة ومنها الكلية المتحوصلة والبارانويا .. لا أعتقد أنها ستجن لكنى بالفعل قلق ...

على بعد خطوات جلست أم (برنادت) شبه نائمة بدورها .. عقدت ذراعيها على صدرها وأراحت رأسها للخلف .

قلت لها فى لطف :

ـ « سيكون بخير يا سيدتى .. »

قالت مغمضة العينين :

ـ « شكرًا يا (علاء) .. »

عرفت على الفور أنها موشكة على البكاء .. الغيوم تتجمع .. سوف ... لقد غطت وجهها وبدأت تنشج ، فنهضت لأربت على كتفها . جميل أن يجد هذا الوغد من يقلق عليه ، لكنها قالت وهى تنهنه :

ـ « لم أعد أتحمل .. إنه يتحول إلى شيطان يومًا بعد يوم .. »

ـ « أعرف .. إنه وغد و ... »

نظرت لى بعينى برنادت الجميلتين الشفافتين فقضت على تقريبًا .. وأردفتْ :

ـ « أنت لا تعرفه .. لقد قضينا حياة جميلة .. لقد تغير كثيرًا .. على أن أتحمله وأتحمل مغامراته الصبيانية مع الفتيات ، وحرصه على أن يبدو شابًا .. شرهًا فى الطعام والشهوات .. هذا يثير الاشمئزاز .. باختصار هو يتحول إلى .. إلى خنزير .. »

ومن جديد انفجرت فى البكاء ..

هذه المرة قررت أن أتركها تبكى ..

هذه الدموع سوف تغسلها وهى بحاجة لها بشدة . لابد أن هذه أول مرة تطلق عليه فيها لقب (خنزير) وهى لا تصدق أنها قالت ذلك ، برغم أننى قلت ذلك منذ اللحظة الأولى .. دعك من أن هذا يرجح أنها تعمدت شرب الكحول مع عقار الكلورال ..

هذا الجو ملغوم ..

هذا الجو مسمم ..

ومن جديد أتوق بشدة إلى الفرار .. العودة لوحدة سافارى الحبيبة ..

* * *

9 ـ فيلم صامت ..

عاد الأب إلى البيت فى اليوم التالى ..

لا أعرف إن كان اقتنع بعدم جدوى هذا الرجيم ، أم هو ينوى تجربة العقاقير .. معظم العقاقير التى تستخدم لفقدان الوزن هى من طراز (أشباه منبهات الجهاز السمبثاوى) ، وهذا يعنى أنها ستقضى على قلبه وترفع ضغط دمه بإذن الله ..

يقضى معظم الوقت فى النوم .. فقط يصحو ليتشاجر ويأكل ..

أحيانًا يجلس فى الحديقة الهائلة جوار حمام السباحة ويدير مملكاته مستعملاً دستة من أجهزة الهاتف ، وأحيانًا يقف جواره هذا السكرتير أو ذاك لملء مجموعة من الأوراق .. يبدو أنه يستعمل الذكور فقط فى البيت لإبعاد الشكوك . يراقب زوجته وهى تمتطى الحصان الأبيض الجميل .. إنها تحب الخيول فعلاً وتقضى وقتًا طويلاً داخل الأسطبل .. ولشد ما تبدو طريفة وهى فوق صهوة الحصان بحجمها الدقيق كأنها طفلة أهداها أبوها حصانًا ، والغريب أنها تبدو مكتئبة ..

المال لا يجلب السعادة .. قالها (يوسف وهبى) قديمًا وكررهـا مرارًا ، حتى كبرنا وأدركنا أنها خدعة يحاول بها الأثرياء منع الفقراء من محاولة الإثراء ، لكن هذه الأسرة تخرق القاعدة ..

جربت ركوب الحصان عدة مرات فبدا لى سهلاً .. بالطبع ليس لدرجة أن أعبر به الحواجز ، لكنه حصان مهذب لطيف الحاشية على كل حال .. لو كنت ثريًا لاقتنيت هذا الحصان الجميل .. هذه من النقاط القليلة المهمة فى الثراء . صحيح أن بوسعى أن أشترى حصانًا لكن أين أضعه ؟.. فى الحمام ؟

كنـت جالسًـا معـه ـ حمـاى لا الحصـان طبعًا ـ فى الشمس فى ذلك اليـوم ، بينمـا برنادت وأمهـا تلعبـان التنس من بعيد .

كان يلتهم فطيرة محشوة باللحم فى نهم ، وقد احمر وجهه وصدره كالطماطم ..

قال لى ضاحكًا وهو يكور أنفه فى تشنيكة لا أحبها عندما تأتى منه :

ـ « الطعام !.. من لذائذ الحياة القليلة المباحة .. كل لذة فى الحياة كما تعرف ممنوعــة قانونًا أو محــرمة دينيًا أو تسبب السمنة !.. »

قلت بلهجة ذات معنى :

ـ « أعتقد أنك متكيف مع نفسك فى هذا الصدد .. »

هنا دق جرس الهاتف ..

راح يصغى بعض الوقت وتغير وجهه . ثم نهض وقال للمتصل بلهجة سريعة :

ـ « أنا قادم .. لكن تذكر أن هذا ليس موعدك .. »

ثم انصرف متوترًا بعد ما طلب منى الإذن .. لاحظت فى دهشة أنه برغم توتره حريص على أن يمشى فى خط مستقيم .. كأنه رسم خطًا على الأرض يمشى عليه ..

كانت الواجهة الزجاجية ممتدة بطول البناية ، وكان بوسعك أن ترى من بالداخل بوضوح شديد .. هو وضوح غير متبادل على الأرجح لأن الظل يغمرنى ، بينما الإضاءة ساطعة بالداخل .. على الأرجح هم لا يروننى ..

هكذا استطعت أن أرى الخادم يدخل قاعة الاستقبال مع ذلك الضيف قصير القامة الغامض رث الثياب . كان يتظاهر بأنه متأنق لكن ثيابه كانت تشى بحقيقته .

رأيت المسيو (كرستيان) يتجه للرجل فيدعوه فى شىء من التوتر للجلوس ، ثم يشير للخادم كى ينصرف .. يشعل سيجارًا فى عصبية . يجلس ...

محادثة قصيرة عصبية .. ينهض ويغادر المكان ..

الرجل رث الثياب ينظر حوله . ينهض لصندوق السيجار ويفتحه ليدس فى جيبه حفنة من السيجار الممتاز .. إنه يبحث حوله بحثًا عن شىء آخر يسرقه .. يلتقط شيئًا لم أتبين ما هو ويدسه فى جيبه ..

حماى يعود لضيفه .. ينـــاوله مظروفًا ... الضـــيف يفتح المظروف ويخرج بعض الأوراق المالية .. يعدها ، ثم يهز رأسه رافضًا . المزيد من الجدل .. ثم ينهض الزائر وقد بدا عليه عدم الرضا لكنه يدس المظروف فى جيبه .

حماى يتأكد من رحيل الضيف ثم يعود إلى الخارج .

جميلة جدًا لغة الإيماءات هذه .. لو طلبوا منى وضع حوار لهذا الفيلم الصامت الذى دام عشر دقائق ، لكان كما يلى :

ـ « جاك .. لقد دفعت لك منذ فترة قصيرة جدًا .. »

ـ « الحياة باهظة التكاليف يا سيدى .. والمرء يعانى كى يظل صامتًا .. »

ـ « طلبت منك مرارًا ألا تأتى إلى البيت .. »

ـ « حاولت الالتـــزام بذلك ، لكنـــك لم تذهب لشركاتك منذ فترة .. قيل لى إنك مريض فجئت أقدم تحياتى .. »

ـ « خذ هذا المبلغ ولا تفش أسرارى .. لكن تذكر أنك لن تعود قبل شهر .. »

ـ « ما هذا ؟.. المبلغ غير كاف .. »

ـ « ليس عندى سوى هذا ما دمت لا تقبل الشيكات .. »

ما رأيته هو ببساطة عملية ابتزاز واضحة الأركان ، ومن الجلى أنه طلب من المبتز ألا يأتى للبيت لكن الرجل لم يستطع الانتظار .

ابتزاز بأى شيء ؟.. كل شيء ممكن مع طريقة حياة حماى الصاخبة . لابد أنه يترك خلفه طريقًا طويلاً من الفضائح ..

رجل الأعمال الناجح سوف يدفع أى مبلغ طبعًا كى لا تعرف صحف (الباباراتزى) أنه .. أنه ماذا ؟.. أى شيء .

عاد إلى الحديقة وهو يمشى فى خط مستقيم كعادته ، ليجلس ويواصل التهام فطيرة اللحم . قررت أن أدس له السم فى العسل وأخبره أننى لاحظت ما يريب ، فقلت :

ــ « لا أعرف شيئًا عن زائرك هذا لكنى رأيته من وراء الزجاج ... ملأ جيبه بالسيجار الفاخر ، ثم سرق شيئًا ما كان على مائدة صغيرة بجواره .. »

نظر لى للحظة متسائلاً عما أعرفه بالضبط ، ثم قال وهو يقضم قضمة عملاقة :

ــ « لص .. أنا أعرف ذلك ... إن البيزنس يضطرك إلى التعامل مع عينات بشر غريبة بعض الشيء .. »

وفجأة بدأ يتوتر .. ازدادت سرعته فى المضغ .. بدأت أوردته تحتقن ، ثم نظر لى بوجه كالشيطان وقال :

ـ « هل تتجسس علىّ ؟ »

لم أكن أتوقع رد الفعل هذا .. اعتدلت فى جلستى وقلت فى ارتباك :

ـ « لو كنت أتجسس عليك لسمعت ما يقال .. بالطبع لا أعرف أى شىء .. كيف يمكن أن أبعد عينى عن شخصين جالسين على الناحية الأخرى من الزجاج ؟ »

لكنه كان فى حالة غضب جنونية قلما رأيتها لدى الكنديين الأقرب للهدوء والتهذيب .. وعاد يكرر :

ـ « هل تتجسس علىّ أيها الشاب ؟.. هه ؟.. تتجسس علىّ ؟ »

تعالى صوته حتى أن الخدم نظروا نحونا فى فضول .. وتوقفت المرأتان عن لعب التنس .. لو بقيت لاستمر فى الصراخ ، ولو نهضت لبدوت كالمطرود ..

فى النهاية نهضت وغادرت المكان وأنا فى حالة سيئة من الغيظ والارتباك .. رد فعله كذلك جعلنى عاجزًا عن الرد برغم أننى سليط اللسان ..



فى الحقيقة أنا عرفت عنه أكثر مما ينبغى ، لكنى لا أعتبر نفسى جاسوسًا .. لم أفتح درج مكتبه لأفتش عن ملفات سرية .. لم أمش وراءه فى الشوارع ..

دخلت غرفـة النـوم هائلة الاتساع وارتميت على الفراش بحذائى وأنا أشعر أن كندا ضيقة جدًا خانقة جدًا ..

ظللت أنظر إلى السقف مفكرًا .. ربما حان الوقت كى آخذ برنادت لأى فندق نمضى فيه الأيام الباقية من إجازتى . إنها إجازة سيئة فعلاً .. أسوأ مما توقعت ..

هنا سمعت صوت خطوات ..

طبعًا هى الأم جاءت تعتذر لى عن فظاظة زوجها ، أو هى برنادت جاءت تلومنى لأننى تجسست على أبيها .. أو ..

لكن صوت الخطوات هذا .. ليس صوت خطوات حماتى ما لم تكن قد تحولت إلى فرس نهر .

فوجئت بالرجل قادمًا .. فاعتدلت فى جلستى ..

كان وجهه يحمل الكثير من علامات الأسف والخجل وكان كذلك صادقًا .. وكان يحمل كأسًا فى يده كعادة الغربيين عندما يواجهون موقفًا صعبًا ..

جلس على حافة الفراش وقال وهو يحك شعره :

ــ « علاء .. لم أرد أن أكون فظًا لكن أعصابى كانت فى مكان زلق .. لقد انزلقت .. »

قلت له وأنا أنظر فى عينه :

ــ « سيدى .. أنا لا أبالى بشئونك ولا أريد معرفة أسرارك ، لكنى أعرف جيدًا معنى هذا المشهد .. أنت فى ورطة .. هذا الرجل يبتزك لهذا أنت متوتر .. لهذا أنت سريع الغضب .. عندنا فى مصر مثل يقول : (اللى على راسه بطحة حاسس بيها) .. أنت تشعر بهذه البطحة لهذا انفجرت .. »

كنت متأهبًا لانفجار آخر ، وقد أعددت مجموعة شتائم فرنسية ممتازة جدًا تذكرتها على الفور ، لكنه كان هشًا مستسلمًا وقال لى :

ــ « أنت تفهم أننى لا أستطيع التحكم فى شهواتى .. كانت فتاة صغيرة السن ، لكنى لم أعرف هذا .. النتيجة أن الرجل ــ وهو أخوها ــ التقط لى الكثير من الصور التى يمكن أن تهدم كل شىء فى حياتى .. الأسرة .. العمل .. السمعة .. لا أستطيع

عمل شىء سوى دفع كل مليم يطلبه . إن طلباته تزداد كثافة وجشعه يتفاقم لكن لا مفر أمامى .. »

رجــل عبقــرى !.. تحرش .. فتيات قاصرات .. مبتز .. لو سمعت أمى كل هذا مترجمًا للطمت خديها ولسألتنى عن هذا النسب الذى أقحمته على أسرتنا .. لحسن الحظ أننى أفرق بين برنادت وأبيها ..

أمقت هؤلاء الذين يرثون لأنفسهم ويشعرون بأنهم ضحية طيلة الوقت . يقبض رجال الشرطة على اللص فيقول فى أسى واستسلام : إنه الشيطان .. يقع السفاح فى الفخ فيشتم الظروف .. تفسد الفتاة سمعتها ثم تعلن أن السبب أنها لم تجد من يفهمها فى محيطها الأسرى . واضح أن هناك وغدًا واحدًا فى هذا العالم هو أنا .. أنا الوحيد المسئول عن أفعالى ولا أطلب صفحًا من بشرى ..

قلت له بلهجة لا مزاح فيها :

ـ « طبعًا لم تستطع قتله .. هؤلاء المبتزون يتركون معلومات عن أماكن تواجدهم فى كل مكان ، ويتركون مظروفًا لدى أحد أصدقائهم يفتح فى حالة موتهم .. »

قال فى صدق :

ـ « أنا لا أؤذى كائنًا حيًا حتى لو استطعت .. »

ثم تثاءب كفرس النهر فجأة ، وقال وهو يرقد على السرير ويضع رأسه على الوسادة :

ـ « أرجو أن تسمح لى .. لقد أتعبتنى هذه المناقشة طويلاً وقد صار جفناى ثقيلين .. سأنام قليلاً .. »

طبعًا أسمح له فهذا بيته وهذه غرفته والفراش ابتاعه من ماله ..

لكن الأمر كله غريب ! ... جاء ليعتذر لى وفجأة قرر أن ينام قليلاً ... هذا يثير الجنون فعلاً ..





10 ـ مكالمة غاضمة ..

قلت لبرنادت وأنا أقلب مجموعة الأوراق التى أخرجتها لى من ملف كبير :

ـ « أنا متأكد من وجود خطأ ما .. »

مطت شفتها السفلى بمعنى أنها لا ترى ما يثير دهشتى .

أردفت وأنا أتفحص ورقة أخرى :

ـ « هناك شىء خطأ .. أبوك مريض جدًا وأنا متأكد من هذا .. هناك أمراض تسبب سلوكًا غريبًا لا يفهمه الناس .. تسمم الرصاص مثلاً ... »

قالت فى خبث :

ـ « تسمم رصاص ؟ »

ـ « نعم .. يصيب السباكين ، وكان يصيب عمال المطابع قديمًا وكل العاملين فى مجال الترصيص .. »

قالت بذات الخبث :

ـ « أنت دقيق الملاحظة .. لاحظت أن أبى يشغل وقته فى الترصيص فعلاً .. »

قلت لها فى غيظ وقد صعد الدم لرأسى :

ـ « أضرب مثالاً لا أكثر .. تسمم الرصاص .. بعض الأورام التى تسبب إفراز هرمونات زائدة والتى يسمونها Paraneoplastic syndromes .. مرض (أديسون) .. الشيخوخة ذاتها تسبب نوعًا من البارانويا .. كل هذه أمراض تسبب تغيرًا فى السلوك .. »

قالت وهى تمشط شعرها فى المرآة العملاقة :

ـ « كمـا ترى .. هـذه هى الفحوص الدورية لأبى .. آخر فحوص .. كل شىء على ما يرام باستثناء نقص بسيط فى البوتاسيوم عرفنا سببه .. لكنك تبدأ من فرضية وهمية هى أن أبى غريب الأطوار .. فى الحقيقة أعتقد أنك أنت غريب الأطوار .. »

لم يكن بوسعى أن أخبرها بكل شىء طبعًا ، لكننى كنت قد وصلت لشبه يقين : هناك سبب ما لما يفعله هذا الرجل .. لا يكفى أن يكون وغدًا . ربما هناك جلطات صغيرة فى المخ أدت لتغير شخصيته . لكنه لم يجر أشعة مقطعية أو أشعة بالرنين

المغناطيسى لاستبعاد هذا الاحتمال ، ومن الصعب أن أقنعه بذلك .

كل الفحوص ممتازة فعلاً .. هذا الرجل دليل على تقدم الطب الكندى .. لو صرت بصحته وأنا فى الستين لاعتبرت نفسى سعيد الحظ فعلاً ...

هنا خطر لى خاطر مرعب .. الإدمان .. الرجل ثرى جدًا ويمكنه الحصول على ما يريد من مخدرات ، فهل هناك مخدر يسبب هذا ؟

قلت لبرنادت إننى راغب فى استعمال الإنترنت ، فنهضت مغادرة الغرفة .. عادت لى بعد قليل بجهاز لاب توب يتصل لاسلكيًا بالإنترنت ، وفتحته لي .

فتحت دائرة معارف العقاقير ، وقمت بإدخال موضوع البحث :

« تغيرات شخصية + عقاقير .. »

هنا فوجئت بقائمة مخيفة .. أحتاج إلى عشرين سنة كى أقرأها كلها ...

يبدو أن كل عقار فى العالم حتى فيتامين (أ) يغير الشخصية ..

هكذا قضيت ساعات سوداء فى عالم الطب على الإنترنت ، ولم أصل لشىء .. لكن كل عقار يترك آثارًا أخرى مثل ارتفاع فى ضغط الدم أو تغيرات فى الحدقة .. إلخ .. لا يوجد عقار يكتفى بأن يجعلك وغدًا ..

يجب أن أراقب الرجل جيدًا .. سوف يستخدم هذا العقار لا محالة ، ولسوف أعرف قصته بالضبط .. أول شىء يجب القيام به هو شراء ذلك الميكروفون الحساس الذى وجدته فى أحد الأسواق أمس . هذا ليس تجسسًا بالضبط ، لأننى أريد مصلحته .. أريد معرفة متى وكيف يحصل على المخدر ..

* * *

قضيت أيامًا جميلة مع (برنادت) نرى معالم كندا التى يمكن رؤيتها لمن يملك برنامجى ، لكنى برغم هذا لم أر الولفرين .. حيوان المستذئب رمز كندا ، وهو ينتمى للدببة لكنه يبدو كذئب ..

ساعدنى هذا الجمال كله على نسيان (كريستيان) ومشاكله .. إن برنادت تكون فى أفضل حالاتها عندما تبتعد عن أبيها ، بينما هى تستفزنى فعلاً عندما ترى عيوبه واضحة كالشمس لكنها

تبررها بألف طريقة ممكنة . عيبه الوحيد بالنسبة لها هو أنه مستبد ومتسلط ويريد أن يصبها فى القالب الذى أراده .. وهى تمردت على هذا وعاشت الحياة التى اختارتها . انتهى ... كل كلمة أخرى أقولها أنا تعود لأننى أحمق ...

أو ـ وهو ما لم تقله ـ ما أراه فى أبيها هو انعكاس روحى المظلمة الدنسة .. أنا وغد لهذا أرى كل الناس كذلك ..

كان كل شىء على ما يرام وأنا بعيد عن المشاكل ، لكن المشاكل لا تريد تركى ..

ليلة هادئة تزحف على (تورنتو) ...

ها هو ذا جرس الهاتف يدق فى البيت العملاق . مدبرة المنزل ترد .. تتجه لى حيث كنت جالسًا فى الشرفة مع (برنادت) على الأرجوحة نشاهد على لاب توب صغير الصور التى أخذناها لشلالات نياجرا .. تقول لى بلهجة مهذبة :

ـ « السيد يريد أن تكلمه .. »

أى سيد ؟

آه .. نسيت مشاكل الرجل ونسيت أنه موجود أصلاً ..

ـ « هل يريدنى أنا ؟.. »

ـــ « أنت بالذات . يا سيدى .. »

نهضت متوجسًا لألحق بها بينما اعتبرت (برنادت) الأمر طبيعيًا ..

رفعت سماعة الهاتف ووضعتها على أذنى كأننى أضع ثعبانًا .. وقلت بحذر :

ـــ « هالو ؟ »

جاء صوت حماى مذعورًا خائفًا :

ـــ « علاء .. أنا فى مشكلة .. مشكلة خطيرة .. يجب أن تأتى حالاً ولا تشعرن أحدًا بشىء .. إننى فى فندق (راديسون) غرفة رقم 305 .. لا .. لا تأخذ سيارة من البيت ، بل تعال بسيارة أجرة .. »

تقلصت أحشائى .. صوته يدل على مصيبة ..

هكذا وضعت السماعة وقلت لبرنادت شيئًا على غرار إننى راغب فى جولة قصيرة ، ثم انطلقت فى الحديقة إلى أن بلغت البوابة ..



ولكن .. هذه الضاحية بعيدة عن حركة المرور ، فلا سبيل للحصول على سيارة أجرة إلا بالاتصال بشركة السيارات . هكذا عدت إلى الداخل وطلبت من برنادت أن تأمر سائقًا بمرافقتى ..

ـ « هل أنت متأكد من أنك لا تريدنى معك ؟ »

قلت فى ارتباك وقد احمرت أذناى (عرفت هذا من السخونة) :

ـ « لا .. سوف أعود سريعًا ... »

قالت فى شك :

ـ « من الذى اتصل بك ؟ »

ـ « صديق كندى .. إننى كونت صداقات هنا .. لا تنسى هذا .. »

قررت أن تبتلع شكوكها .. هى لم تكن من الطراز الفضولى على كل حال .. لم تكن تدس أنفها فيما لا يخصها ، وكان هذا ـ عدم دس الأنف ـ يوحى لى أحيانًا بأن لها طابعًا رجوليًا لا شك فيه ..

هكذا وجدتنى أخالف التعليمات وأركب فى سيارة من أسطول سيارات أبيها نحو فندق (راديسون) هذا ...

11 ـ ورطـــة ..

كلما حسبت نفسى ذكيًا اكتشفت أننى أتصرف بسذاجة لا حد لها ..

لقد قرعت الباب ، فانفتح لأجد حماى .. كان غارقًا فى العرق وربطة عنقه مفتوحة وحاله فى منتهى السوء .. اعتدت أن أراه أنيقًا ثابت الجنان ...

الغرفة أنيقة جدًا واسعة جدًا ... يبدو أن هذا من أفخم فنادق (تورنتو) ..

دخلت وألقيت نظرة من حولى .. هنا رأيتها ..

كانت جالسة على أريكة جوار التلفزيون المفتوح . المشكلة أنها ليست جالسة بالضبط بل هى ممددة فى وضع الجلوس ورأسها ملقى على كتفها بشكل مقلق . فتاة لا يمكن أن تتجاوز سن السادسة عشرة .. لها شعر أسود طويل جميل ، لكن المشكلة الآن هى أن عينيها مغمضتان وتتنفس بصعوبة ..

نظرت له فى عدم فهم فقال :

ـ « لقد كانت بخير .. ثم دخلت الحمام وعادت .. عادت بهذا الشكل و ... »

أعتقد أننى خمنت ..

هذه الهالات السود تحت عينيها ، والعرق الغزير .. نبضها واهن جدًا ...

الحدقة متسعة ... هذه علامة مهمة لكن على أى شىء ؟

كشفت عن ساعدها بحثًا عن علامات حقن ، فلم أجد لكنى وجدت آثار أظفار .. حكاك قوى لدرجة تمزيق الجلد .. كانت تحك نفسها بقوة . لا أعتقد أنها مصابة بالجرب وإلا فهى (الجربانة) الوحيــدة فى كنــدا .. على الأرجح هــذه براغيث الكوكايين coke bugs .. من علامات تعاطى الكوكايين المعروفة .. المدمن يشعر طيلة الوقت أن براغيث تجرى تحت جلده فلا يكف عن الهرش ..

بحثت عن الحمام والرجل يتبعنى متوترًا .. فتحته ورحت أبحث فيه ، إلى أن وجدت الشريحة الزجاجية إياها والموسى وبقايا المسحوق الأبيض .. تعلمت معنى هذا المشهد من السينما لا من دراستى الطبية .. الفتاة دخلت الحمام لتتعاطى جرعة فكان ما كان ..

عدت للغرفة وقلت له وأنا أنظر إلى الفتاة :

ـ « جرعة عالية من الكوكايين .. الأمر واضح .. »

قال فى بلاهة :

ـ « هل هى فى خطر ؟ »

ـ « لا أعتقد .. هى تُحتضر فقط لو وجدت هذا خطرًا بما يكفى .. »

كان فى حالة شديدة من الغباء وكنت أنا فى أشد حالات الغيظ ..

طبعًا هذه هى ذات الفتاة التى يبتزه ذلك الرجل بها ..لم يقطع علاقته بها . ما زال وغدًا .. لكن الأمر يتجاوز حدود العبث .. هنا فتاة قاصر ومخدرات واحتمال وفاة .. هنا مشكلة مع الشرطة ..

لكن لا وقت للتفكير .. الفتاة تموت ...

قلت له آمرًا أن يطلب الإسعاف .. فقال :

ـ « لكن .. لكن .. حسبتك قادرًا على عمل بعض الإسعافات الأولية .. »

قلت فى غيظ :

ــ « وينتهى الأمر وتعود لبيتك سعيدًا .. أنا آسف .. لم يعلمونى سحر الفودوو فى الكلية .. لابد من مستشفى وتنفس صناعى .. »

كان موقفًا فى غاية السوء بالطبع ، لكنه اتصل بالاستقبال .. وأدركت من طريقتهم فى الكلام معه أنه يأتى كثيرًا هنا .. زبون دائم ..

بعد ست دقائق ــ كما تعلمت عن الكنديين ــ كان المسعفون فى الغرفة ، وقد قاموا بإجراء تنفس صناعى سريع للفتاة بجهاز (أمبو) . هنا تذكرت أن المرء يمكن أن يكون حمارًا فعلاً ، لأنه كان بوسعى عمل ذلك فى انتظارهم ...

قلت للأب همسًا بينما المسعفون يأخذون الفتاة معهم :

ــ « لقد جئت بسيارتك ! .. لم أجد سيارة أجرة .. »

نظر لى بعينين زائغتين ، ولم يقل شيئًا ..

كانت سيارة الإسعاف تنتظر بالخارج حيث قام المسعفون بإدخال المحفة ، ولما عرفوا أنى طبيب عرضوا على أن أركب

السيارة معهم . قلت لحماى أن يلحق بنا فى المستشفى ، وركبت فى مؤخرة السيارة مع الفتاة ..

سألنى أحد المسعفين ، ويدعى (بيير) كما عرفت :

ــ « منذ متى هى تتعاطى المخدر ؟ »

ــ « لا أعرف .. صدق أو لا تصدق .. أنا لم أرها إلا منذ نصف ساعة .. »

ابتسم وشعرت أنه لم يصدق حرفًا ...

أنا أحمق ..

طبعًا أنا أحمق ..

عرفت هذا عندما دخلنا المستشفى ، وعندما ركض رجال الإسعاف بالمحفة .. عندها عرفت أننى وحدى !... حماى لم يلحق بى كما اتفقنا . لقد تأكد من أن ذلك الأبله قد تورط فى القصة وفر ..

أنا هنا وحدى .. الشخص الوحيد الذين يعرفون أن له أى ارتباط بالفتاة .. وهكذا انهال على رأسى فيض من أسئلة المسعفين وفيض من أسئلة رجال الشرطة عندما جاءوا .. لقد تورطت فى الوحل وغدت كل محاولة للخروج تزيدنى غوصًا ...

رحت أكرر قصتي عن حماي المهم رجل الأعمال الذي تورط في هذه القصة . لا أعرف أين ذهب .. كنت مرتبكًا بالفعل وبدوت مريبًا بلا شك . كنت أفكر طيلة الوقت في أن من يجاور نافخ الكير لابد أن يحرق ثيابه أو يجد منه ريحًا منتنة . أنا جاورت نافخ الكير كثيرًا جدًا ..

أنقذني بشكل مؤقت قدوم رجل عملي يبدو أنه مهم كذلك .. رجل قصير القامة متأنق جدًا نافذ الشخصية ، وقدم نفسه لرجال الشرطة أنه (جيرار مكنوفي) محامي السيد (كريستيان جونز) ..

على الأقل أرسل لي محاميًا يساعدني . ولم يكن (جيرار) محاميًا فقط بل هو رجل متعدد العلاقات ، وقد أجرى بعض مكالمات مع قوم مهمين كما هو واضح .. أما النقطة الأهم فهي أن الفتاة تجاوزت منذ شهر واحد سن القاصر .. إنها فتاة شابة وإن بدت كمراهقة ، ولولا هذا لما نجا حماي العزيز من المساءلة ..

عرفت أن الفتاة ستنجو .. إنها لم تعد في غيبوبة لكنها نائمة ..

في النهاية قال لي رجل الشرطة الذي أنهكني بالأسئلة العبارة الشهيرة :

ـ « يمكنك أن تعود لدارك يا دكتور .. نحن نعرف عنوانك وعلى الأرجح سنتصل بك .. »

ضحك المحامى الأريب وصافح رجل الشرطة ، ثم تذكر دعابة ما فانحنى يهمس بها فى أذن الشرطى وانفجر الرجلان يضحكان ..

ثم إن المحامى رفع ياقة معطفه وتأبط ذراعى وقال :

ـ « ليلة عصيبة .. أليس كذلك ؟ »

ومشيت معه إلى حيث كانت سيارته فى ساحة الانتظار خارج المستشفى ..

قال لى وهو يدير المحرك الذى تجمد من البرد :

ـ « على الأرجح صار أخو الفتاة فى قبضتنا ، فالفتاة مدمنة لكنها كذلك تروج للمخدرات مع أخيها .. سوف تتكلم ، وعندها سيكون عليه أن يدمر ما لديه من صور ويغادر البلدة وإلا حركنا هذه التهمة ضده .. أنا قادر على جعله ينجو وقادر كذلك على جعله يدخل السجن ... إننا نمرح كثيرًا فى هذه المهنة بشرط أن تجد محاميًا مثلى ، وأن تقدر على الدفع له .. »

قلت لنفسى (أحمق ثرثار كذلك) .. من الذى أخبره أننى أعرف أى شىء عن الموضوع ؟.. أليست هذه أسرار موكله ؟

لكنه قال كأنه خمن تفكيرى :

ـ « مسيو (جونز) أخبرنى أنك تعرف شيئاً عن موضوع الابتزاز .. »

ونظرت لساعتى .. ثلاث ساعات مرت فى هذا الكابوس ...

سوف يكون أول شىء أفعله هو أن آخذ (برنادت) ونذهب لأى فندق .. لن أمضى ساعة واحدة فى بيت المجانين هذا ..

* * *

دخلت إلى قاعة الجلوس الواسعة ..

كانت (برنادت) هناك مع أمها وأبيها .. وكانت وجوههم تحمل نظرة واجمة صامتة .. تماسكت حتى لا أركل العجوز فى مؤخرته ، وقلت لبرنادت فى حزم :

ـ « أرجو أن تحزمى حقائبك .. نحن سنمضى بقية الإجازة فى فندق .. »

لم يرد أحد .. فقط قالت أمها وهى تحدق فى البساط :

ـ « اجلس يا (علاء) .. »

لم أجلس وعدت أكرر فى عصبية :

ـ « هلا نهضت يا برنادت .. لا أريد البقاء هنا ثانية واحدة .. »

قالت الأم دون أى انفعال فى صوتها :

ـ « قلت لك أن تجلس يا علاء .. إن الموضوع مهم .. »

ـ « بالفعل هو مهم .. لقد قضيت ساعات قاسية فى المستشفى بسبب ... »

قالت مقاطعة :

ـ « نحن نناقش رغبة (برنادت) فى الانفصال عنك ! »

* * *



12 ـ فرصة أخيرة ..

لابد أننى قد دست كابلاً كهربيًا ..

لقد سرت الكهرباء فى جسدى ، ووجدتنى أنتفض للحظات ..

نظرت ليرنادت غير مصدق ، فوجدت الدموع بدأت تحتشد فى عينيها .. أخيرًا قالت وهى تتنفس بعسر شديد :

ـ « لم أعد أتحمل أكثر .. أنت فقدت صوابك منذ جئنا لكندا يا علاء .. مرة تتشاجر فى ناد ليلى من أجل فتاة ، واليوم أنت فى غرفة فندق مع مدمنة مخدرات ومراهقة كذلك .. يبدو أن بريق الحياة الغربية جعلك تجن . لقد كنت محتفظًا بثباتك عندما لم تكن هناك إغراءات .. يصعب أن يفقد المرء صوابه وسط كل الفقر والمرض اللذين رأيناهما فى سافارى ، لكنك كنت كحارس المرمى الذى لم يُختبر .. بضعة أيام فى كندا كانت كافية كى أسمع عنك كارثة كل يوم .. »

هنا انفجرت وقد فهمت كل شىء :

ـ « ألم يقل لك أبوك لماذا ذهبت إلى الفندق ؟.. لماذا ذهبت للمستشفى بينما تخلى هو عنى كالجبناء ؟ »

قالت (برنادت) وهى تجفف دموعها بمنديل ورقى :

ـ « أبى ذهب للفندق كى يخلصك من ورطتك .. أرسل لك محاميه .. »

ـ « هو قال هذا ؟ »

ـ « أنت غادرت البيت بعد مكالمة وكنت غامضًا جدًا .. ورفضت أن أصحبك .. الآن نعرف ما حدث بالضبط .. »

نظرت للرجل فوجدت فى عينيه كل أمارات التعاطف معى ! .. كان يفهمنى ويشفق على .. الشباب يخطئ أحيانًا لكن علينا نحن الشيوخ أن نتسامح .. ومن الغريب أنه كان يضع أمامه كعكة كبيرة يلتهمها فى جشع .. لابد أن الخوف زاده جوعًا ...

أدركت أننى لو وضعت يدى عليه الآن فلسوف ينتهى الأمر به على منضدة التشريح ، وأنا فى السجن .. هل كندا تعدم القتلة ؟

كذبة كبيرة جدًا واسعة جدًا .. نذالة لا توصف .. لهذا يسهل أن تصدق ما يقول .. هذه مدرسة الخواجة النازى (جوبلز) الشهيرة : كلما كبرت الكذبة صار إنكارها مستحيلاً ، لأن الناس لن تصدق أن هناك كذبة بهذا الحجم ..

لهذا صار ــ حماى لا جوبلز ــ رجل أعمال عظيمًا .. إنه بلا ضمير من أى نوع ..

نظرت له وقلت :

ــ « وأنت .. ألن تعلق ؟ »

قال على الفور والأسى يغمر ملامحه وخداه محشوان :

ــ « حاولت إقناعها أن لكل منا لحظة ضعف ، لكنها مصرة على الانفصال .. يبدو أنك ضغطت على أعصابها كثيرًا جدًا ... »

سوف أقتله .. سوف أقتله ..

من السهل أن تتضح الحقيقة .. سوف تتكلم الفتاة وسوف يشهد موظفو الفندق بأن السيد (كريستيان جونز) جاء أولاً مع الفتاة ، وليست هذه أول مرة .. لكن الرجل قد أثار الكثير من الغبار بحيث صار تبين الحقيقة صعبًا فعلاً على الأقل بالنسبة لبرنادت ..

طبعًا مـــن السهل أن أطلق السـباب وأعلن ما معناه (أعلى ما فى خيلكم اركبوه) ، لكنى أعرف (برنادت) جيدًا .. هى طيبة وتحبنى حقًا .. وهذا الغضب سببه خوفها من أن تفقدنى .. تفقـــدنى بطريقـــة مهينـــة . لا أعـــرف ما قاله لها أبوها عن

(عاداتى السيئة) فى غيابى لكنــه مؤثر ومقنع حتمًا . إنها تعرفنى جيدًا لكنهــا لم تجربنى فى مجتمع غربى منفتح كهذا .. لهذا صدقت ..

السبب التالى هــو أننى فعــلاً بدأت أعتقد أن الرجل يتعمد توريطى .. إنه أخبث مما توقعت وهو يريد أن يفرق بيننا بهذه الطريقة .. بأن ينزع عباءة أخطائه ويضعها على كتفى .. بأن تقتنع (برنادت) أننى خنزير . بأن تطلب الطلاق بنفسها ــ وهو ما حدث فعلاً ــ وبهذا تعود له ابنته الحبيبة بأسهل الطرق .

تخطيط عال جدًا رفيع المستوى .. فقط أنا الأحمق المندفع الساذج الذى تكفى كلمات كى ينفجر ويضربك ، وتكفى كلمات كى يبكى كالأطفال ، وتكفى كلمات كى يمنحك حياته ...

لن أجعل مهمته سهلة ..

ابتلعت ريقى ونظرت للأرض قليلاً ثم قلت بهدوء كأننى أتجرع السم :

ــ « لا أريد مناقشة هذا الموضوع الآن .. ما سأفعله هو أن أنتقل للإقامة فى مكان آخر .. بعد يومين سوف نتحدث .. »

واتجهت للباب ، هنا دخل الخادم ليهمس بضع كلمات فى أذن الأب .. فتصلبت ..

رأيته يتوتر ثم ينهض .. أعرف هذه العلامات جيدًا .. رأيتها من قبل .. يمشى فى خط مستقيم مغادرًا الغرفة قبل أن أغادرها أنا ..

نظرت من فرجة الباب فرأيته يدخل رجلاً رأيته أنا من قبل .. رجلاً يحاول التأنق لكن ثيابه رثة ويسرق السيجار ..

المبتز قد جاء بأسرع ما يمكن لدى معرفته الخبر ، وهذه المرة هو لا ينوى خيرًا .. عيناه تطفحان بالشر .. أخته كادت تموت وهناك محام يضغط عليه و ... و ...

انطلقت بسرعة البرق إلى الجناح الذى أقيم فيه ، فبحثت حتى وجدت أداة التنصت الدقيقة التى ابتعتها منذ أيام ..

المحادثة التالية ستكون مهمة جدًا . سوف تتضمن كل شىء تقريبًا وبالتأكيد لن تحتوى أية تلميحات .. سيكون الكلام شديد الوضوح ...

عدت لاهثًا إلى قاعة الجلوس لأجد برنادت ترمقنى فى دهشة ، فناديتها .. نهضت حائرة نحوى فدسست الأداة فى يدها ، وقلت :

ــ « لو كنت تحملين أية مودة نحوى ، فعليك أن تنتحلى عذرًا وتدخلين إلى حيث يجتمع أبوك وضيفه حالاً . أسقطى هذه الأداة خلف أى شىء فى الغرفة ، ثم تظاهرى بالحرج وغادرى المكان .. هذه الأداة سوف تسجل ما يدور لمدة ساعتين .. »

تقلص وجهها فى اشمئزاز وقالت :

ــ « لكن هذا لا يليق ! »

ــ « كما لا يليق بى أن أتحمل أخطاء أبيك .. إذا كنت تنوين هدم بيت كامل فعليك أن تمنحيه فرصة أخيرة .. لكن أسرعى وإلا انتهت المحادثة .. »

تناولت الأداة الصغيرة كأنها تحمل عقربًا .. فابتسمت لها مشجعًا وغادرت القاعة إلى الحديقة ..



* * *

13 ـ بصيص من نــور ..

بكت (برنادت) كثيرًا فى تلك الليلة ..

لم يكن ما قضت الوقت معه هو أداة التنصت فقط ، والتى يمكن توصيلها بجهاز الكمبيوتر لنقل ما تم تسجيله .. بل إنها كذلك فتحت مجموعة من الأقراص المدمجة الخاصة بأبيها والتى حصلت عليها من مكتبه المغلق ... هى تعرف طريقة فتح الخزانة فهو يثق بها ويعرف أنها لن تفعل أبدًا ما تفعله الآن .. لكننا لسبب ما اعتبرنا أن الأمر تجاوز الأخلاق التقليدية إلى غرض أشمل ..

كان كل شىء واضحًا .. مجموعات الصور تؤكد بوضوح حقيقة الأب . أما عن المحـــادثة فهى كما توقعت .. لقد تكلم الرجل كثيــرًا جــدًا وهــو يؤكد بوضـــوح أن موعدًا تم ترتيبه فى الفندق مع الفتاة ، وحماى يقول بوضوح تام إنه استدعى زوج ابنته الطبيب ليعالج الفتاة لكنه أصر على اصطحابها للمستشفى .. ثم هذه ليست غلطتى .. أنا لم أقدم لها المخدر فلماذا تلومنى ؟..

هناك كـلام عن تهديدات المحامى .. أبعـد محاميك عنى وإلا وجدت هذه الصور طريقها للصحافة ليعرفوا أى عجوز قذر أنت .. كل شىء .. كل شىء ..

صار الأمر واضحًا بشدة ..

وكان وجه برنادت يتبدل بين القسوة والدهشة والشك والصدمة والحزن ..

كما هى عادتى كلما ظلمت ومنذ الطفولة .. لحظة أن يتبين صدقى .. تتدافع الدموع لعينى وترتجف شفتى السفلى ، وهو ما فعلته بنجاح تام ..

فهرعت (برنادت) دامعة بدورها تحيطنى بذراعيها :

ــ « يا صغيرى .. أنا آسفة .. لقد ظلمتك بقسوة .. »

وأنا أقاوم الرغبة الطفولية فى أن أرتمى على الأرض وأضربها بقبضتى وأردد : ما ليش دعوة باه !

الحق أنها كانت لحظات رائعة .. نحب أن نشفق على أنفسنا أحيانًا بدلاً مـن معاملتهـا بقسـوة .. وللحظـات شعرت بأننى رائع ... يا للنقاء والسمو !..

فلما انتهت هذه اللحظة الإنسانية الحميمة وجدتنى أحدق فى شاشة الكمبيوتر شارد الذهن .. وقلت لها وأنا أنظف عويناتى من الدموع الجافة :

ـ « ماذا تنتوين ؟.. هل ستواجهينه بهذا كله ؟ »

ظلت صامتة ثم قالت :

ـ « لا أدرى .. هذا موقف أقسى من أن أفكر فيه .. »

ـ « على الأقل لن نقيم هنا دقيقة أخرى .. »

عبثت برنادت فى شعرها حتى حولته إلى كومة من الليف تغطى عينيها وقالت :

ـ « أتخلى عن أمى فى لحظات قاسية كهذه ؟ »

ـ « أو تتخلين عن زوجك ؟ إن أباك يريد أن ينعم بانفصالنا .. أنا متأكد من هذا .. »

نهضت لتقف أمام النافذة الواسعة التى يغطيها ستار كثيف فأزاحته لتتأمل الليل بالخارج وقالت :

ـ « لا أعرف .. أبى لم يكن شريرًا قط .. كان متصلب الرأى دكتاتورًا .. لكنه لم يكن من هذا الطراز .. »

ـ « إذن نحن نتكلم عن التسمم مرة أخرى ؟ »

ضحكت ضحكة عابثة وقالت :

ـ « لا تكلمنى عن تسمم الرصاص من فضلك فهذا يشعرنى بأنك لست جادًا .. »

ـ « إذن هناك تفسير آخر .. وسوف نجده .. »

نظرت لى وتكور أنفها الحبيب بطريقة (التشنيكة) وقالت :

ـ « هيا بنا .. »

* * *

جولة طويلة مرهقة تلك التى قمنا بها بين المواقع الطبية المتعددة على شبكة الإنترنت .. لابد أننا شربنا جالونات من القهوة وأكلنا أطنانًا من البسكويت .. لو كان هنا لبّ لصارت الحياة رائعة ..

تغيرات شخصية بعد الستين ... أسباب كثيرة جدًا .. يبدو لى أنه ما من مرض على ظهر الأرض لا يسبب ذلك .. إن تصلب الشرايين المخية يؤدى لتغيرات عديدة ، لهذا يتصرف المسنون بضيق أفق وتصلب رأى وعناد لا شك فيه .. أحيانًا يكونون أقرب للطفولة .. لهذا قيل إن الإنسان يبدأ حياته وينهيها طفلاً .. هناك

كذلك الكثير من الشك فى الآخرين ، ومثال العجوز المتشككة التى تتوقع أن كل من يكلمها سفاح ، مثال شهير جدًا ..

لكن تغيرات الشخصية فى حالة أبى برنادت تجعل الرجل يقترب من سلوك الخنزير ..

قالت لى برنادت :

ــ « هل تشك فى حالة كبده ؟... إن الفشل الكبدى يقترن بسلوك طفولى مزعج .. »

ــ « لا أظن وإلا لأخبرتنا التحاليل .. ثم تذكرى عادته فى المشى فى خطوط مستقيمة هندسية .. مريض الكبد المتقدم يتصرف كالسكارى .. »

إن ما نبحث عنه لمرض لا يؤدى لتغيرات واضحة فى الفحوص الروتينية .. لا يغير وظائف الكبد ولا سكر الدم ولا وظائف الكلى ولا صورة الدم ..

قالت وهى تفكر :

ــ « خطوط مستقيمة .. هذه علامة على الوسواس القهرى .. قضم الأظفار والمشى فى خطوط مستقيمة .. »

هنا خطرت لى فكرة جديدة . قلت لها :

ــ « نحن نبحث بطريقة خاطئة .. لن نبحث عن تغيرات الشخصية ، بل سنتذكر الأعراض نفسها .. لدينا شهوة جنسية زائدة .. شراهة للطعام زائدة .. »

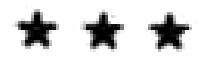
أضافت وهى تتذكر :

ــ « لا تنس النوم .. إنه ينام كالرضيع .. أعتقد أنه ينام تسع عشرة ساعة يوميًا .. »

ــ « إذن فلنبحث عن ... »

وفجأة تبادلنا النظرات وقد بدأنا نرى الخيط الواهى الذى يربط هذا كله .. وصحنا بصوت واحد :

ــ « أمراض المهاد التحتى !!! »





14 ـ الوغد قد لا يكون وغداً ..

المهاد التحتى أو الـ hypothalamus الذى يعرفه كل طبيب جيدًا ، وأصفه باختصار هنا لغير المختصين : إنه ذلك الجزء الصغير الواقع فى قاع المخ ، والذى يربط بين الجهاز العصبى والغدة النخامية . المهاد التحتى يفرز العوامل التى تجعل الغدة النخامية تفرز بدورها .. وهذه الأخيرة تسيطر على الغدد الصم المسئولة عن هرموناتنا ..

إن المهاد التحتى يلعب دور غرفة التحكم التى تنظم لنا النوم والأكل والظمأ والرغبة الجنسية وحرارة الجسد .. عندما ترتفع حرارتك من الحمى فالمهاد التحتى هو الذى سبب هذا .. عندما تصاب بأرق فالمهاد التحتى لا يؤدى عمله جيدًا .. البدين يعانى من مشاكل مع المهاد التحتى وكذلك النحيل ..

هناك قائمة طويلة من الأمراض التى تنتج عن اختلالات المهاد التحتى ، لكن من بينها مجموعة نادرة تؤدى إلى شراهة شديدة فى الأكل والجنس وإفراط فى النوم ..

هل اقتربنا من الجواب ؟

أعتقد هذا ...

★ ★ ★

عبث د . (جيبسون) فى لحيته الحمراء وهو يطالع التحاليل ، ويصغى لقصتنا .. لم يقل شيئًا منذ بدأنا السرد . فى النهاية أمسك بقلم وورقة وراح يرسم خطوطًا ..

قال لنا فى شرود :

ـ « كل هذا جميل .. لكنى بحاجة إلى رأى خبير غدد صُم .. لا أستطيع أن أدلى بدلوى وحدى .. »

ثم رشف رشفة هائلة من القهوة الموضوعة أمامه وأردف :

ـ « أنتما تتحدثان عن حالة كلاسية من متلازمة (كلاين ليفين) ... »

المتلازمة Syndrome هى مجموعة أعراض تبدو لمن ينظر من الخارج أنه لا يربطها شىء ، لكن الحقيقة أن لها تفسيرًا واحدًا واضحًا . عباقرة التشخيص فى الماضى كانوا يحبون مبدأ Occam's razor أو (موسى أوكام) وهى قاعدة فى المنطق

تقول إن أفضل الحلول هو أبسطها .. الحل الذى يعطى تفسيرًا واحدًا لكل شىء . من الممكن أن يكون أبو (برنادت) شرهًا وبالصدفة شهوانيًا وبالصدفة كسولاً .. لكن هذا يفترض وجود ثلاث إجابات بينما هناك إجابة واحدة تغطى كل شىء ..

اتسعت عيوننا فى عدم فهم ، فقال وهو يرشف رشفة أخرى :

ـ « هذا مرض نادر .. لكنه التفسير الأقرب للصواب .. »

* * *

قال د. (جيمسون) :

يعود وصف هذا المرض إلى العام 1925 عندما وصف (كلاين) هذا الداء فى صبية مراهقين يعانون فرط النوم والأكل والنهم الشهوانى . بعد عشرة أعوام وصف (ليفين) ذات المرض الذى اصطلح على تسميته متلازمة (كلاين ليفين) ـ Kleine Levin syndrome

عامة كما قلنا يتضمن المرض نومًا زائدًا عن الحاجة وهى علامة مهمة جدًا .. بعض المرضى ينام على الإفريز فى الشارع أو فى سيارة مفتوحة لا تخصه .. هناك الكثير من العدوانية

لدرجة ضرب الأقارب .. ثم الجشع فى الطعام .. والإفراط فى الرغبات الجنسية .. يمكن بسهولة أن تعرف المرأة المصابة بالداء من بدانتها وثيابها الخليعة .

هناك نظريات عديدة للكيفية التى يحدث بها هذا المرض .. هناك من قال إنه نتيجة ضربة قوية على الرأس أو ضربة فى مباراة ملاكمة . لابد أن نزفًا صغيرًا يحدث فى المهاد التحتى وقتها . فى بعض الفتيات المراهقات تزداد الأعراض سوءًا قبل أو أثناء الدورة الشهرية . هناك كذلك عامل وراثى معين يتبين فى دراسة جينات هؤلاء المرضى . لكن لم نجد أية حالة لقريبين سوى أخ وأخت أصيبا بذات المرض .

هناك حالات بدأت بعد نوبات إسهال وجفاف ... وهناك حالات بدأت بعد إفراط فى تعاطى الكحول خاصة لمن لم يعتده . لا يمكن كذلك استبعاد حدوث عدوى فيروسية غير ملحوظة تؤثر فى المهاد التحتي.

على كل حال ، معظم حالات المراهقة شفيت بشكل تلقائى قبل سن الثلاثين .

أما عن الحالات التى تصيب كبار السن فأعقد من هذا ، لأنها غالبًا ترتبط بحدوث جلطة دماغية صغيرة . نلاحظ هنا زيادة فى أعراض الوسواس القهرى ، فالمريض يقضم أظفاره ويعانى نوبات انفعالية من غضب وضحك لا مبرر لهما ، كما يميل إلى أن يكتب على جلده وثيابه ، ويمشى فى خطوط هندسية مستقيمة .. هناك دومًا اضطرابات فى الوعى .. ربمـا نسـيان متكرر أو فقدان القدرة على التركيز . معظم المرضى يصفون تفكيرهم بأنه (لزج وبطيء) لا يمكنه اللحاق بالأفكار السريعة من حوله . أحد المرضى جلس أمام شريحة لحم عاجزًا عن تذكر كيف كانت تؤكل بالشوكة والسكين فى الماضى .

أن تبدو الموجودات حولك كأنها غير حقيقية أو كأنها فى حلم ، عرض مهم يتكرر كثيرًا مع هؤلاء المرضى . كل شىء يبدو غريبًا لدرجة أن أحد المرضى قال إنه لا يعرف صوته ويبدو له غير مألوف و(غير صحيح) .

* * *

قلت له وقد انتهى من كلامه :

ــ « عرض بارع فعلاً .. من جديد يضعنا فى المشكلة الأخلاقية الشهيرة : الوغد قد لا يكون وغدًا بل هو مجرد مريض .. لكن متى

ينتهى دور الفسيولوجيا وتبدأ المسئولية الأخلاقية ؟.. هذا سؤال مهم ولابد أنه أرق الكثيرين من قبل منذ عصر (لامبروزو) ، لكنى لا أفهم هل يقع هذا المرض فى نطاق تخصص طبيب الأعصاب أم الطبيب النفسى أم طبيب الغدد الصم ؟ »

قال باسمًا وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « كل هؤلاء !.. وأضف لهم طبيب النوم .. أنت تعرف أن هذا تخصص طبى منفصل اليوم .. »

ـ « والعلاج ؟ »

ـ « قلت لك إن أفضل من يعطينا رأيًا هو طبيب غدد صُمّ .. فى هذه النقطة بالذات ، وإننى لأقترح أحد المختصين كبار السن ويعمل معنا فى المستشفى .. د. (برنارد شيرمان) .. إن برنادت تعرفه جيدًا .. »

هزت برنادت رأسها وهى تفكر فى قلق .. يبدو أن هذا كله كان أكثر مما تتوقع أو تتحمل ..

بعد قليل قالت :

ـ « طبعًا .. طبعًا .. لكن هذا الكلام نظرى أكثر من اللازم .. كيف نتأكد منه ؟ »

ـ « لا توجد طريقة قاطعة سوى الصورة العامة للمرض .. لكن لو وجدنا دليلاً على جلطة فى المهاد التحتى لأبيك لدعم هذا شكوكنا .. هناك كذلك تخطيط المخ الكهربائى .. »

صفرت (برنادت) بشفتيها وقالت :

ـ « لن يقبل .. هل يمكننا أن نعطيه العلاج دون تأكد ؟ »

ـ « هذا صعب .. إنك بهذا تعرضينه لترسانة أدوية قد لا يكون لها داع .. »

راحت تفكر قليلاً وهى تدق على المنضدة بأناملها .. ثم كررت فى إصرار :

ـ « لن يقبل .. »

كأنها تقنع نفسها ..

* * *

15 ـ خـدعـة ..

قالت برنادت لأبيها فى كياسة :

ـ « ما زلت أرى أنه يجب أن تجرى بعض الفحوص .. أنا أفكر فى أشعة رنين مغناطيسى على المخ .. »

ألقى بالجريدة التى يمسك بها وصاح فى عصبية :

ـ « للمرة الألف أقول لا .. أنا لا أثق بالطب .. لن أسمح لهم بأن يمرروا مغناطيسًا فى مخى حتى أصاب بالخبال .. »

ـ « أنت تعرف أن هذا غير صحيح .. »

ـ « وأنت تعرفين أنه صحيح .. »

ثم قضم قضمة كبيرة من الشطيرة التى جلبتها زوجته وجرع جرعة هائلة من كوب اللبن ، ثم أضاف :

ـ « يبدو أن الأمور تحسنت بينك وزوجك .. »

قالت فى حذر :

ـ « قررت أن أمنحه فرصة أخرى .. »

ثم وضعت يديها فى خاصرتها وعادت تسأل :



ــ « أريد إجابة نهائية .. أنا أريد الاطمئنان عليك قبل العودة إلى الكاميرون .. »

ــ « الإجابة النهائية هى لا .. »

هزت رأسها بمعنى (كنت أعرف هذا) ثم غادرت القاعة فى عصبية ، وساد صمت طويل .. كنت وحدى معه الآن .. فنظر لى وقال فى فخر وهو يكور أنفه بطريقة (التشنيكة) :

ــ « هل تذكر ذلك المبتز ...؟ .. لقد انتهى أمره .. غادر المدينة ويزعم أنه نسف كل شىء يخصنى .. حتى لو لم يفعل فهو يعرف أنه متورط بما يكفى .. أهم شىء فى الحياة أن تجد محاميًا بارعًا وأن تستطيع أن تدفع له .. »

ثم حك ذقنه وقال وهو ينظر للسقف :

ــ « المحامى ! ... أهم مهنة فى الوجود .. هل لديك محام ؟ »

ــ « لا .. »

ــ « إذن أنت لست حيًا .. لا تعتبر نفسك حيًا إن لم يكن لديك محام .. هذا يعنى أنك فى معترك الحياة وأنك تتصارع وأن لك أعداء وأنك تخطئ .. الموتى ليس لديهم محامون فقد تجاوزوا هذه المرحلة .. »

هززت رأسي في فهم .. بينما الساقية تدخل الغرفة حاملة صحفةً عليها ستةً من أكواب الآيس كريم . هل ينوى أكل هذا كله ؟.. لو فعل هذا أمامي لأفرغت معدتي على السجادةَ ..

هكذا نهضت وأعلنت أنني مرهق .. فليسمح لي بأن أدخل مخدعي بعض الوقت ..

قال لاهثًا بسبب ارتفاع الحجاب الحاجز :

ـ « تذكر .. يجب أن يكون لك محام .. »

* * *

في الثالثة بعد منتصف الليل سمعنا الصراخ من جديد ..

يبدو أنه موعد نقص البوتاسيوم ..

هرعت مع برنادت إلى الجناح الذي ينام فيه الأبوان . هناك كانت زوجته واقفة وقد بدا عليها هلع شديد ، بينما كان هو راقدًا على الفراش وقد فتح منامته كاشفًا عن صدره وبطنه ..

بدا لي كمن يختنق وخطر لي للوهلة الأولى أنه في نوبة قلبية ..

عندما دنوت أكثر شعرت بهلع .. إنه أحمر اللون كالطماطم وقد فتح منامته ليعرض صدره الذي احمر بدوره للهواء ..

تحسست جلده فأدركت أنه يعانى سخونة شديدة .. هناك دستة من الأمراض تعطى صورة كهذه على كل حال ، وهذا يزيد الأمر إرباكًا ..

كان يلهث وصاح فى جزع :

ــ « الحرارة .. النار ! .. أنا أحترق !! »

مدت (برنادت) يدها وتحسست نبضه ثم هتفت فى جزع :

ــ « هذا الارتفاع فى الحرارة مريب .. قد يكون نزفًا فى المخ .. »

كان كلامها مطمئنًا فقلت لأزيل القلق عن الرجل :

ــ « أو نوبة قلبية .. »

واستدرت نحو الأم آمرها بأن تحضر الإسعاف .. لقد صارت عادة ..

صاح الأب فى رعب :

ــ « **لا تتركونى !.. لا أريد أن أموت .. أيها الخنازير .. أنتم مستعمرة من القمل فى رأس شحاذ** ! »

تم الأمر بسلاسة وسرعة كما اعتدنا .. وخلال ربع ساعة كنا فى المستشفى ..

قياس ضغط الدم .. تخطيط القلب .. فحص للدم ..

بينما انتحت (برنادت) بأحد الأطباء من زملائها السابقين جانبًا ودارت مناقشة طويلة .

عندما عادت لى كانت تبتسم فى رضا فلم أفهم ما يسعدها لهذا الحد .. أليست قلقة ؟

جلست جوارى على المقعد الطويل فى الاستراحة ، ووضعت ساقًا على ساق وراحت تتفقد الأرقام على هاتفها المحمول ، ثم قالت :

ــ « سوف يجرون له أشعة بالرنين المغناطيسى وربما نرتب له أشعة انبعاث البوزيترون PET .. سوف نجرى له تخطيط مخ كهربائيًا .. كل شىء ولن يجرؤ على الاعتراض .. إنه مذعور .. »

قلت فى غباء :

ــ « ما زلنا لا نفهم ما جرى .. »

قالت ضاحكة فى خبث :

ــ « لقــد دسـست له بعض أقــراص حمض النيكوتنيك فى طعامه ..!.. جرعة غير سامة طبعًا .. »

تذكرت هذه الأقراص الشيطانية اللعينة التى كانت تجعل وجهك يحمر كالطماطم حتى لتشعر بالدم يجرى فى شرايين الأذن ، مع شعور مرعب بأن رأسك سينفجر .. برغم هذا كان الفلاحون المصريون يحبونها جدًا لأنها (تحضر الدم) كما يقولون .. فى النهاية هى مجرد فيتامينات لا أكثر ..

لقد وضعت (برنادت) أباها فى حالة مرضية زائفة عن طريق هذه الأقراص .. النتيجة أنه صار على استعداد لأى شىء ، ولو طلبوا منه اقتلاع عينه ليدخلوا فيها منظارًا لوافق .. وبالطبع هى اتفقت مع زملائها على مجموعة الفحوص هذه .

من الصعب على الرجل أنه يصدق أنه ليس مريضًا ، بينما كل هذا الدم يحتشد فى رأسه ..

قلت لها ضاحكًا :

ـ « أنت خبيثة كالثعالب . فقط لندع الله ألا تكون هذه الأقراص قاتلة لمرضى (كلاين ليفين) .. فما أقل ما نعرفه عن هذا المرض ! »

نظرت لى فى قلق ، وهمست بصوت كالفحيح :

ـ « هل تعتقد ذلك حقًا ؟ »

16 ـ العــلاج ..

جالسنا أمام فانوس الأشعة الذى تراصت عليه صور أشعة الرنين المغناطيسى للمخ ، قال د . (برنارد شيرمان) وهو يتفحص تخطيط المخ الكهربائى ومستويات الهرمونات :

ـ « هناك جلطة صغيرة فعلاً ، وهى قد تفسر كل شىء .. لكن لا تنسيا أن لدينا إسرافًا فى الكحوليات ، وهناك إصابة للرأس حدثت منذ عام وقرر الرجل أن يتجاهلها .. كل هذا قد يبدأ المرض .. »

سألته (برنادت) وهى تمسك بقلم وورقة :

ـ « إذن يمكننا أن نقول إن هذه متلازمة (كلاين ليفين) فعلاً ؟ »

ـ « أعتقد هذا .. »

سألته أنا :

ـ « والعمل ؟ »

قال فى وقار وهو يقلب السكر فى كوب القهوة الورقى :

ـ « عامة يتراجع المرض مع الوقت .. سوف يتحسن أبوك ويعود كما كان ، لكن بوسعنا أن نعجل من شفائه بحقن الميثيدرين الوريدية مع جرعة صغيرة من الكورتيزون بالفم . كل من جرب الليثيوم والكاربامازبين حصل على نتائج ممتازة .. الليثيوم يتلاعب بتركيز مادة الميلاتونين التى تنظم إيقاع النوم ، والكاربامازبين يقلل من شهوتى الطعام والجنس .. »

سألته من جديد :

ـ « هل تقترح بعض أدوية الاكتئاب ؟ »

قال فى وقار :

ـ « كل أدوية الاكتئاب لا قيمة لها هنا .. جربوها مرارًا بلا نجاح .. سوف نكتفى بهذه العقارات مع ملاحظته ومنعه من أن يؤذى نفسه .. »

هنا انفجرت برنادت فى البكاء بتلك الطريقة الأنثوية الغادرة .. فنظرنا لها فى ذعر..

قالت وهى تخرج منديلها :

ــ « المسكين .. كنا نعتبره وغدًا شرهًا وأمى تعتبره خائنًا ، وهو مجرد مريض كمرضى الدرن والملاريا .. لشد ما ظلمناه ! »

كدت أقتلها من غيظى .. كل هذا الكلام الرقيق عن أبيها الملاك وعن أننى وغد أرى روحى الشريرة منعكسة على أبيها .. كل هذا كان كلامًا .. هى أيضًا كانت ترى أن أباها غير طبيعى ..

ثم متى ظلمته ؟.. لقد ظلمتنى أنا فقط .. هو لاقى كل تدليل ..

لم يعلق د . (شيرمان) .. فقط ضم يديه وقال :

ــ « أنا معكم .. لا تقلقوا .. »

* * *

عاد الثرى العجوز إلى البيت بعد أسبوع ...

أذكر أنه كان جالسًا هناك فى الحديقة الغناء يراقب الحصان الأبيض الذى يركض مع ابنه المهر الصغير ، ويراقب حمام السباحة .. جلست جواره ونظرت له فابتسم لى ..

هذه المرة الابتسامة صادقة ..

قال وهو يرشف رشفة من كوب العصير :

ــ « أنا أتحسن يا عــلاء .. هذا حقيقى .. لا أعرف كيف أصف لك ما كنت فيه .. كنت فى حالة شديدة من الغباء وبطء التفكير ، فلا أفيق إلا عندما أرى فتاة جميلة أو أرى طعامًا .. كنت آكل دون جوع على الإطلاق ولم أكن أشبع أبدًا .. فجأة أشعر بغضب عارم وأننى أريد أن أفتك بأى واحد ، ثم أهدأ وأشعر بنعاس شديد .. المشكلة أننى لم أعتبر هذا مرضًا قط .. حسبتها تغيرات مزاجية مصاحبة للشيخوخة .. »

ثم مد يده فتحسس شعرى فى أبوة وقال :

ــ « ليس لى ابن ، لكنى شعرت حقيقــة بأن عندى واحدًا .. أنت اعتنيت بى وحافظت على أسرارى قدر وسعك ، لكنى مدين لك بنجاتى من هذا الكابوس .. »

قلت فى صوت مبحوح :

ــ « لم يكن اكتشافى .. الفكرة خطرت لى وبرنادت ... »

تمنيت أن أقول له بابا لكن الكلمة لم تخرج من حلقى طبعًا ، فهى عاطفية أكثر من اللازم ولا تسمح بها الظروف .. دعك من أنه ليس لى سوى أب واحد .. هو أبى ..

هنا شعرت بيد أخرى تملس على شعرى ..

كانت حماتى الرقيقة أم برنادت تقف خلفى والتأثر فى عينيها ..

قالت لى فى رفق :

ــ « أنت رائع وإننى مدينة لك بأشياء كثيرة .. لقد أنقذت حياتى بعد ما حسبتها قد انتهت .. »

أمسكت بيدها عاجزًا عن الكلام هنا شعرت بشىء غريب .. شفتيها الدقيقتين المغضنتين انطبعتا على ظهر يدى فأجفلت ..

الآن صار من المستحيل ــ بعد كل هذا المجد ــ أن أعترف بأن برنادت تشاركنى التفكير ، وأن صاحب الفضل الأول بعد الله تعالى هو د. (جيبسون) .. هناك لحظة تنال فيها قدرًا من المديح يمنعك تمامًا من قول الحقيقة . فى فيلم (عمر المختار) أطلق المجاهدون بإرادتهم سراح ضابط إيطالى ومعــه علم إيطاليا .. فلما عاد للقوات الإيطالية ، عومل كبطل حتى صار من المستحيل عليه أن يعترف بأن المجاهدين هم الذين أطلقوا سراحه .. لم يعد هذا من حقه ..!

قالت لى أم برنادت :

ــ « لقد تغير كثيرًا .. صار هو (كريستيان) الذى أعرفه ويبدو أن الأيام القادمة أفضل .. »

قلت لها :

ـ « لو لم يتلق علاجًا لتحسن من تلقاء نفسه خلال سبعة أعوام .. »

قال السيد (كرستيان) ضاحكًا :

ـ « سبعة أعوام ! .. ما كنت لأظل حيًا سبعة أعوام أخرى مع كل هذا الأكل . أو كان زوج غيور سيفتك بى ! »

هنا ظهرت برنادت قادمة من بعيد وهى تحمل بعض الأزهار التى اقتطفتها لأبيها ..

★ ★ ★

انتهت إجازتى فى كندا ..

الإجازة التى أحمل همها منذ أعوام ، ومن الغريب أننى كنت على حق ، مصداقًا لمقولة (اللى يخاف من العفريت يطلع له) .

سوف أعود إلى الكاميرون كسمكة تعود للماء ..

سوف أترك تورنتو بمشاكلها وقصصها .. سوف أترك هنا بعض الأسئلة ... مثلاً لو افترضنا لمجرد الفرض أن متلازمة (كلاين ليفين) التى أصيب بها حماى ليست مكتسبة وإنما هى

تعود لأسباب وراثية . لو افترضنا هذا جدلاً فهل يعنى هذا أن برنادت تحمل بذور هذا الداء ، وأنها فقط تنتظر ضربة على الرأس فى وقت ما كى تنام وتأكل كالخنازير وتلاحق الرجال ..؟

يصعب أن أصدق هذا أو أتخيله .. لكن من كان يصدق أن حماى مجرد مريض ؟....

على كل حال هذا خارج نطاق خبراتى التى اكتسبتها فى وحدة (سافارى) .

د. علاء عبد العظيم

تورنتو ـ كندا

تمت بحمد الله



سافارى

مغامرات طبيب شاب يجاهد كى يظل حيًا وكى يظل طبيبا

روايات مصرية للجيب

إلى الشمال

د. أحمد خالد توفيق

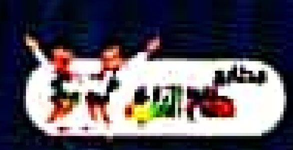
أخيرًا يتم اللقاء ويلقى علاء عبد العظيم أسرة زوجته .
كان متوترًا فى انتظار هذه اللحظة ؛ لأنه يخشى ألا يروق لهم .
صحيح أن هذا لن يغير من الحقيقة شيئًا ، ولن يعيد عقارب الساعة للوراء ؛ لكننا نحب أن يقبلنا الآخرون أحيانًا .
إلا أن اللقاء كان أسوأ مما توقعه .. إنها أسرة غريبة فعلاً .. ومع الوقت بدأ علاء يشعر بأنه قد خطا إلى مصيدة ، وأنه لا يرغب إلا فى الفرار من هذا الجنون .

العدد القادم

داء الأسد







الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم